وبدأت حركة التدوين للسنة النبوية في أول القرن الثاني بصفة عامة، ونشط العلماء لهذا العمل المشكور نشاطًا قويًا، وقد اقترنت حركة التدوين بحركة النقد، والتعديل، والتجريح، والتحري عن الحق، والصدق، والصواب. فقد وضع أئمة الحديث وصيارفته لهذا أدقّ قواعد النقد، وأقواها ضبطًا، وتأصيلًا، وأعدلها، سواء أكان ذلك يتعلق بنقد الأسانيد أم المتون.

ومن أوائل من اهتم بالسنة النبوية هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) الملقب بناصر السنة، وقد ترك للأمة كتبًا متعددة في السنة، ومن أهمها: كتاب "السنن المأثورة" الذي اشتمل على الأحاديث التي رواها الإمام الشافعي في معظم أبواب الفقه، والتي هي غير مكررة في كتاب "الأُم" أو في مختصرات تلاميذ الشافعي، مثل "مختصر المزني". وكتاب "المسند" أي "مسند الشافعي"، وإن لم يصنفه الإمام الشافعي بنفسه، لكن الكتاب يشمل الأحاديث التي يرويها الشافعي في مجموع كتبه مثل كتابه "الأُم"، والذي قد جمعه له أحد تلامذته، وهو الإمام أبو العباس الأصم (ت:٣٤٦هـ) من رواية الإمام الربيع بن سليمان (ت:٢٧٠هـ).

فقد اعتنى علماء الأمة بهذين العملين، رواية، وشرحًا، وتحقيقًا، إسنادًا ومتنًا. ومن أبرز العلماء المتأخرين الذين أولو هذين العملين عناية فائقة الشيخ العلامة أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي (ت: ١٣٧٨هـ)، حيث جمع البنا الساعاتي هذين الكتابين في مصنف أسماه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"، ثم قام بشرحه في كتاب سماه "القول الحسن شرح بدائع المنن".

وبناء على هذه المقدمة فإن الباحثة عزمت على دراسة شخصية الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ودراسة منهجه في كتابه "بدائع المنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن". وسيكون عنوان رسالتي لنيل شهادة الدكتوراه من كلية دراسات القرآن والسنة هو: "الإمام البنا الساعاتي

ومنهجه في كتابي "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" و"القول الحسن شرح بدائع المنن"، دراسة تحليلية.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في أن القرن الرابع عشر الهجري من القرون العلمية المعاصرة، وهو قرن النهضة للأمة الإسلامية بعد أن كانت في قبضة القوة الاستعمارية الغربية، لذلك كان لا بد من دراسة علماء وأعلام هذا القرن، دراسة تستوعب آرائهم وجهودهم في كل مجال من مجالات العلم خصوصًا في مجال الحديث النبوي الشريف الذي هو من تخصص الباحثة.

ومن العلماء المعاصرين في القرن الرابع عشر الهجري في مجال دراسة الحديث النبوي هو الإمام المحدث أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي (ت: ١٣٧٨هـ)، ولم تقف الباحثة -في حدود علمها- على دراسة وافية لهذه الشخصية العلمية الحديثية المميزة، على رغم مما له من مؤلفات حديثية متعددة، وآثار علمية قيمة، منها كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن". كما لم تجد الباحثة دراسة علمية تحليلية عميقة عن الكتاب، من حيث منهج المؤلف في الجمع، والترتيب، والشرح. فهذه الدراسة تهتم بترجمة حياة الإمام البنا الساعاتي، ومساهاماته في الدراسة الحديثية، كما تهتم بعمله من خلال كتابيه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"، و"القول الحسن شرح بدائع المنن"، من حيث منهج الإمام الساعاتي في الجمع، والترتيب، والتبويب، والشرح.

أسئلة الدراسة:

أ. من هو الإمام البنا الساعاتي ومدى مساهمته في دراسة الحديث النبوي؟

ب. ما كتاب "مسند الشافعي" و"السنن"، ومدى اهتمام العلماء بهما؟ وما كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"؟

ت. ما منهج الإمام الساعاتي في عمل الجمع بين كتابي "مسند الشافعي" و"السنن" في كتابه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"؟

ث. ما منهج الإمام الساعاتي في الترتيب، والتبويب لأحاديث كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"؟

ج. ما منهج الإمام الساعاتي في شرح أحاديث كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"؟

أهداف الدراسة:

أ. دراسة وتحليل شخصية الإمام البنا الساعاتي، ومساهمته في الحديث النبوي وعلومه.

ب. معرفة وتحليل كتاب "مسند الشافعي" و"السنن"، ومعرفة مدى اهتمام العلماء بهما.

ت. دراسة وتحليل منهج الإمام الساعاتي في الجمع بين كتابي "مسند الشافعي" و"السنن" في كتابه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن".

ث. دراسة وتحليل منهج الإمام الساعاتي في الترتيب، وتبويب أحاديث كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن".

ج. دراسة وتحليل منهج الإمام الساعاتي في شرح أحاديث كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن".

أهمية الدراسة:

إن الحديث النبوي بيان للقرآن الكريم، وشرح لأحكامه، وبسط لأصوله، وتمام لتشريعه، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو تشريع إلهي، ويجب على كل مسلم اتباعه. فعُنيت الأمة الإسلامية به عنايةً فائقةً لم تعهد في أمة من الأمم نحو ما أثر عن أنبيائها وملوكها وعظمائها، فقد حفظ الصحابة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وطبقوها في يومياتهم لكل مجالات حياتهم، ثم بلغوها بعد ذلك لمن بعدهم من التابعين.

فقام التابعون بما قام به الصحابة في العناية بالأحاديث النبوية، بل كان تابعوهم قد قاموا بتدوينها وجمعها في كتب، ومصنفات، كما أنهم وضعوا لها أدق قواعد النقد حتى لا يُنسب حديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد قام العلماء بدراسته دراسة نقدية، تتعلق ذلك بنقد الأسانيد أم المتون. وكانت هذه الجهود لا تتوقف من الأمة الأسلامية في كل عصر ومصر، ولا يخلو عصر ومصر إلا وفيه من يقضي حياته لأجل حفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم رواية ودراية.

كما ظهر في الرابع عشر الهجري -الذي يعتبر أنه قرن النهضة للأمة الإسلامية- عالم في الحديث وعلومه، وهو أحمد بن عبد الرحمن البنّا الساعاتي (١٣٠١-١٣٧٨هـ الموافق ١٨٨٤-١٩٥٨م) وهو عالم محقق، إمام عصره في الحفظ، ورواية الحديث، والمعرفة بأصول الضبط، والتقييد، والإجازة، أحد جهابذة الأزهر وشيوخه الأوتاد. وله أعمال في الحديث وأشهرها "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد

بن حنبل الشيباني" وشرحه "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني". ومن أعماله أيضًا "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن". وكتاب "منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود"، مذيلًا بالتعليق المحمود على "منحة المعبود"، وكتاب "تهذيب جامع مسانيد الإمام أبي حنيفة" مع كتاب "بغية المريد شرح جامع المسانيد"، وكتاب "هداية المقتفى ترتيب مختصر الحصكفي من مسند الحارثي"، المشهور بـ"مسند أبي حنيفة"، ومعه كتاب "النهاية في شرح وتخريج أحاديث الهداية"، وكتاب "إتحاف أهل السنة البررة بزبدة أحاديث الأصول العشرة".

فأرادت الباحثة من خلال هذه الدراسة التعريف بهذه الشخصية الحديثية العظيمة، مع دراسة مساهمات وأعمال هذا العالم المحدث في مجال خدمة السنة النبوية، من خلال كتابَيْه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وكتاب "القول الحسن شرح بدائع المنن"، وكيف كان منهج عمله في الجمع، والترتيب، والشرح؟.

حدود الدراسة:

من أجل أن تكون الدراسة مركزة، وعميقة، حددت الباحثة دراستها في ضوء المحاور الآتية:

أ. ترجمة حياة الإمام أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي من حيث دراسة البيئة الدينية، والسياسية، والعلمية المحيطة به، ورحلاته العلمية، وثناء العلماء عليه، ودراسة أعماله العلمية، ودراسة مساهماته في مجال الحديث النبوي.

ب. دراسة وتحليل منهج الإمام البنا الساعاتي في الجمع بين كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"، من حيث منهجه في الجمع، أو الذكر، أو الحذف، أو تكرار أسانيد ومتون أحاديث "مسند الشافعي" و"السنن".

ت. دراسة وتحليل منهج الإمام البنا الساعاتي في ترتيب، وتبويب "بدائع المنن" بعد جمعه بين "مسند الشافعي" و"السنن"، هل كان ترتيبه موافقًا لما قام به من قبله من العلماء أم اختلف منهجه في ذلك، مع تحديد أوجه الإتفاق والاختلاف في ذلك.

ث. دراسة وتحليل منهج الإمام البنا الساعاتي في شرح كتابه "بدائع المنن"، هل يبدأ الإمام الساعاتي ببيان معاني الكلمات ثم يشرحها؟، وكيف كان اقتباسه واستدلاله من العلماء الآخرين؟، وكيف الاتيان بالأحاديث الأخرى للزيادة أو الاستشهاد على أحاديث "بدائع المنن"؟ وهل يشير الإمام الساعاتي المؤلف إلى الأحكام المستنبطة من الحديث؟، مع بيان منهجه في هذا.

منهج الدراسة:

قسمت الباحثة هذا المحور إلى عدة أمور في منهج الدراسة:

أ. نوع الدراسة، فدراسة الباحثة عن الموضوع من الدراسة المكتبية حيث جعلت الباحثة الكتب مرجعًا أساسيًا فى جمع الحقائق المطلوبة بمطالعة كتب تتعلق بترجمة حياة الإمام البنا الساعاتي، وكتب المحدثين، أو المهتمين بالحديث النبوي التي تتعلق بمناهجهم في جمع، وترتيب، وشرح الأحاديث النبوية.

ب. منهج تحليل بيانات المصادر، استخدمت الباحثة عدة مناهج وهي:

- المنهج التاريخي، وذلك لمعرفة مدى تأثير وتأثر الإمام الساعاتي بما حدث حوله من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية والعلمية، كما استخدمت الباحثة هذه الطريقة لمعرفة تاريخ مؤلفات الإمام الساعاتي، وذلك بقصد معرفة التدرج العلمي الذي مرّ به الإمام الساعاتي في التأليف.
- المنهج الإستنتاجي أو الإستدلالي، وهي أن تجمع الباحثة الحقائق المتعلقة بمسائل البحث ثم تستنتج، وتستنبط منها القاعدة العامة في منهج الإمام البنا الساعاتي سواء كان منهجه في الجمع، أو الترتيب بين كتابي "مسند الشافعي" و"السنن".
- المنهج القياسي، وهي طريقة جمع الحقائق العامة، ثم تستخرج منها الحقائق الخاصة.
- المنهج التحليلي للمضمون أو المحتوى، وهي المنهج المستفاد لبحث الحقيقة، ثم عرضها عرضًا كاملًا، والغرض من هذا المنهج هو عرض الصور الحقيقية عن الحقائق، والصفات، والصلة بين الظواهر الموجودة منظمة، ومرتبة بطريقة موجزة.

الدراسات السابقة:

إن أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي (١٣٠١-١٣٧٨هـ/١٨٨٤-١٩٥٨م)، ولد في قرية شمشيرة من أعمال مديريّة الغربيّة، بجمهورية مصر العربية، وهو عالم محقق، إمام عصره في العلم، والحفظ، ورواية الحديث ودرايته، والمعرفة بأصول الضبط، والتقييد، والإجازة، أحد جهابذة الأزهر وشيوخه الأوتاد، والد الإمام الشهيد حسن البنا. ولم يتناوله أحد من الدارسين -على حدود علم الباحثة- بدراسة عميقة تجْلي للأمة شخصيته وآثاره، وتبرزه عَلَمًا من أعلام العصر الحديث إلا ما كتبه

ابنه عبد الرحمن أحمد البنا في مقدمة أحد أعمال الإمام الساعاتي وهو "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" وفيما كتبه ابنه جمال البنا في كتاب "خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه"، كما كتب محي الدين الطعمي في كتاب "النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر".

وفيما يتعلق بكتابه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" مذيلًا بـ"القول الحسن شرح بدائع المنن"، كذلك فلم يتناوله أحد بدراسته من حيث منهج المؤلف في جمع، وترتيب "المسند" و"السنن" للإمام الشافعي، وكذلك منهج المؤلف في شرحه على كتابه "بدائع المنن". وأما الدراسة على "مسند الشافعي" و"السنن المأثورة" للإمام الشافعي فقد كثرت الدراسة عنهما من قديم وجديد بين التحقيق والشرح، وبين مكثر ومقل.

الدراسات السابقة عن "مسند الشافعي" و"سنن الشافعي":

- كتاب "مسند الشافعي"

إن مزية "مسند الشافعي" تكمن في أنه يجمع الأحاديث التي يرويها الشافعي في كتبه الذي جمعها ونسقها أبو العباس يعقوب الأصم (ت: ٣٤٦هـ)، ثم قام العلامة سنجر (ت: ٧٤٥هـ) بترتيب وتبويب أحاديثه، وعلى هذا يكون "مسند الشافعي" من أقدم وأهم كتب الحديث ويُعَدُّ أحد المراجع المهمة للمسلمين في الحديث، ولا سيما أن أحاديثه تمثل أحاديث مذهب مشهور وهو المذهب الشافعي.

وقد اعتنى به أهل العلم عناية كبيرة فسمعوه ورووه، وحرصوا على إسماعه لطلبة العلم. انظر في ذلك "برنامج التجيبي" (ص. ١١٩-١٢٠)، و"برنامج الوادي آشي" (ص. ٢٠١)، و"إثارة الفوائد المجموعة" للحافظ العلائي (ق ١٢)، و"المعجم المفهرس" (ص. ٣٩)، و"المجمع المؤسس" (١٩١/٢،

٢٣١، ٢٨٨، ٤٦٩، ٥٥٥، ١٧٥/٣، ١٧٨) كلاهما للحافظ ابن حجر، و"صلة الخلف بموصول السلف" للروداني (ص. ٤١)، وغيرها من كتب المعاجم، والبرامج، والمشيخات.

١. ترتيب المسند:

وقد اعتنى بترتيبه بعض أهل العلم: فرتبه الإمام أبو السعادات ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) على الأبواب الفقهية مجردًا من الأسانيد، وشرحه هو نفسه في كتاب سماه "الشافي في شرح مسند الشافعي" وطبع في خمسة مجلدات بتحقيق أحمد بن سليمان، وأبي تميم ياسر بن إبراهيم.

ثم رتبه الأمير سنجر بن عبد الله الجاولي (ت:٧٤٥هـ)، وكان ترتيبه يدل على مكانة هذا الإمام في خدمة "مسند الإمام الشافعي"، ويعطينا ترتيبه فوائد حديثية وفقهية مهمة، وكذلك تفريعه للكتب والأبواب ذو فوائد كثيرة، وقد بلغت كُتُبُ الكِتَاب ٣٢ كتابًا، وكان تفريع الأبواب ٥٦٧ بابًا. وقام الأمير سنجر أيضًا بعَزْوِ كل حديثٍ إلى كتابه وبابه من مؤلفات الشافعي. وقد طبع الكتاب في مجلد كبير بتحقيق الدكتور ماهر الفحل.

ثم رتبه أيضًا الإمام محمد عابد أحمد علي يعقوب السندي الأنصاري (١١٩٠-١٢٥٧هـ)، كما قام هو نفسه بشرح "المسند" وسماه "معتمد الألمعي في حل مسند الشافعي"، ولا يزال المصنَّف مخطوطًا. وعلى عمل السندي، فقد قدم الإمام زهير مقبل بن هادي الوداعي "مسند الشافعي" بترتيب السندي في كتاب سماه "شفاء العِيِّ مسند الإمام الشافعي بترتيب العلامة السندي"، في مجلدين، وأول طبع له سنة ١٤١٦هـ.

ثم رتب وجمع أحاديث "مسند الشافعي" و"سنن الشافعي" أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي، في مصنَّف واحد، وهو "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"، الذي هو موضوع دراسة الباحثة.

٢. الاعتناء برجال المسند:

كما اعتنى برجال "مسند الشافعي" أهل العلم: فترجم لهم وعرف بحالهم الحافظ الحسيني في "التذكرة برواة الكتب العشرة" وقد طبع بتحقيق الدكتور رفعت فوزي. وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة" وهو مطبوع عدة طبعات، منها ما حققه الدكتور إكرام الحق. وأيضًا الشيخ محمد عبد الرحمن عبد الخالق البرشنسي في كتاب سماه "أسماء رجال مسند الشافعي" كما ذكره السخاوي في "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع".

وقد قام الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) أيضا بعمل أطراف المسند فأدخلها في كتابه "إتحاف المهرة"، وهو مطبوع بتحقيق جماعة من الباحثين بمركز السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة بإشراف الدكتور زهير بن ناصر.

٣. شرح المسند:

وإما في عمل شرح المسند، فقد قام به بعض الأئمة، منهم كما ذكرت الباحثة قبل قليل، وهو الإمام أبو السعادات ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) في كتاب سماه "الشافي في شرح مسند الشافعي". وكذلك شرحه أبو القاسم الرافعي (ت:٦٢٣هـ)، وقد طبع الكتاب في أربع مجلدات بتحقيق أبو بكر وائل محمد بكر زهران. وكذلك شرحه الحافظ السيوطي (ت: ٩١١هـ)، وسماه "شافي العي على مسند الشافعي". وشرح السندي (١١٩٠-١٢٥٧هـ)، وسماه "معتمد الألمعي في حل مسند الشافعي" ولا يزال مخطوطًا.

ثم أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، حيث شرح ترتيبه، بعد جمعه بسنن الشافعي المسمى بـ"بدائع المنن" في كتاب سماه "القول الحسن شرح بدائع المنن".

- كتاب "سنن الشافعي"

وأما كتاب "سنن الشافعي"، والمسمى بـ"السنن المأثورة للإمام الشافعي" قد اعتنى العلماء به أيضًا، وقام الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي بتوثيق أصوله، ثم علق عليه، وخرج أحاديثه، وطبع الكتاب لأول مرة في مجلد واحد سنة ١٤٠٦هـ الموافق سنة ١٩٨٦م.

كما قام بعد ذلك الدكتور خليل إبراهيم ملاّ خاطر بتحقيق "السنن"، والتعليق عليه، وطبع في مجلدين سنة ١٤٠٩هـ الموافق سنة ١٩٨٩م.

هيكل الدراسة:

ليكون البحث منتظمًا، ومرتبًا ترتيبًا منطقيًّا، وليسهل على القارئين فهمه، قامت الباحثة بتنظيم بحثها على الفصول الآتية، والتي تتقدمه المقدمة وتُختم بالخاتمة:

المقدمة، تحتوي على: مشكلة الدراسة، وأسئلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، وحدود الدراسة، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وهيكل الدراسة.

الفصل الأول: حياة الإمام الساعاتي ومساهماته في مجال الحديث النبوي

المبحث الأول: عصر الإمام الساعاتي

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاقتصادية والاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية

المبحث الثاني: حياة الإمام الساعاتي

المبحث الثالث: مساهمات الإمام الساعاتي في مجال الحديث النبوي

المطلب الأول: عمل الإمام الساعاتي في كتاب "بدائع المنن"

المطلب الثاني: عمل الإمام الساعاتي في كتاب "الفتح الرباني"

المطلب الثالث: عمل الإمام الساعاتي في كتاب "منحة المعبود"

الفصل الثاني: التعريف بكتابي "بدائع المنن في جمع وترتيب المسند الشافعي والسنن" و"القول الحسن شرح بدائع المنن"

المبحث الأول: التعريف بكتابي "مسند الشافعي"، و"سنن الشافعي"

المطلب الأول: التعريف بشخصية الإمام الشافعي

المطلب الثاني: التعريف بـ"مسند الشافعي"

المطلب الثالث: التعريف بـ"سنن الشافعي"

المبحث الثاني: التعريف بكتابي "بدائع المنن في جمع وترتيب المسند الشافعي والسنن" و"القول الحسن شرح بدائع المنن"

الفصل الثالث: منهج الإمام الساعاتي في جمع كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"

المبحث الأول: المنهج العام للإمام الساعاتي في جمع كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"

المبحث الثاني: المنهج الخاص للإمام الساعاتي في جمع كتابي "مسند الشافعي" و"السنن".

المطلب الأول: منهج الإمام الساعاتي في ترميز أحاديث "بدائع المنن"

المطلب الثاني: منهج الإمام الساعاتي في الأحاديث المكررة في "مسند الشافعي" و"السنن"

المبحث الثالث: منهج الإمام الساعاتي في تكرار أحاديث "بدائع المنن"

الفصل الرابع: منهج الإمام الساعاتي في ترتيب أحاديث "بدائع المنن"

المبحث الأول: ترتيب أحاديث "مسند الشافعي" قبل الإمام الساعاتي

المطلب الأول: الترتيب الأولي على أحاديث "مسند الشافعي"

المطلب الثاني: ترتيب ابن الأثير على أحاديث "مسند الشافعي"

المطلب الثالث: ترتيب الأمير سنجر على أحاديث "مسند الشافعي"

المطلب الرابع: ترتيب محمد عابد السندي على أحاديث "مسند الشافعي"

المبحث الثاني: ترتيب أحاديث "سنن الشافعي"

المبحث الثالث: ترتيب الإمام الساعاتي على أحاديث "مسند الشافعي" و"السنن" في "بدائع المنن".

المبحث الرابع: مقارنة بين الإمام الساعاتي والأمير سنجر وعابد السندي في ترتيب أحاديث "مسند الشافعي"

الفصل الخامس: منهج الإمام الساعاتي في شرح أحاديث "بدائع المنن"

المبحث الأول: المنهج الفني للإمام الساعاتي في شرح أحاديث "بدائع المنن"

المطلب الأول: منهج الإمام الساعاتي في ترقيم الألفاظ أو الأحاديث

المطلب الثاني: منهج الإمام الساعاتي في ترقيم الأحاديث الشاهدة أو الزائدة في الشرح

المطلب الثالث: منهج الإمام الساعاتي في وضع رموز الكتب وأسماء الأعلام في الشرح

المبحث الثاني: المنهج العلمي للإمام الساعاتي في شرح أحاديث "بدائع المنن"

المطلب الأول: منهج الإمام الساعاتي في ضبط ما خفي من معنى ألفاظ الحديث

المطلب الثاني: منهج الإمام الساعاتي في استنباط الأحكام الشرعية من الأحاديث

المطلب الثالث: منهج الإمام الساعاتي في الاتيان بالأحاديث الشاهدة والزائدة

الخاتمة، تحتوي على نتائج البحث والاقتراحات.

الفصل الأول

حياة الإمام الساعاتي ومساهماته في مجال الحديث النبوي

عاش الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي (١٨٨٢–١٩٥٨م) في عصر مهم من عصور تاريخ الأمة الإسلامية المعاصر، حيث نشط فيه أهل بلاد المسلمين التحرر من قبضة المستعمرين، وحاولوا التخلص من كل تأثير الدول المستعمرة، فبدأوا بفكرة الإصلاح الداخليّ، سياسيًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا، وثقافيًّا. ففي المجال السياسي، ظهرت في بلاد المسلمين، ومنها مصر فكرة تأسيس مجلس النواب، كما ظهرت الأحزاب السياسية، ويتسابق كل حزب للحصول على ثقة الشعب في تدبير الدولة، مما تسبب إلى صراعات حزبية، وأدت حينا إلى افتراق الشعب.

وفي المجال الاقتصادي والاجتماعي، حاولت مصر الحصول على الاستقلال الاقتصادي، فظهرت فكرة الاعتماد الذاتي اقتصاديًّا، حيث بدأت في إبراز إمكانياتها، اقتصاديةً، من الزراعة والصناعة، مع إعداد كل مَرافِقها من فتح الموانئ البحرية والنهرية، وفتح الشوارع الجديدة، لتسهيل نقل المنتجات الزراعية والصناعية. وكان أكبر مشروع في تلك الفترة هي مشروع قناة السويس؛ لقد أدت هذه الظروف السياسية والاقتصادية إلى ظهور فئة اجتماعية جديدة في الأمة، وهي ليس أقلَّ خَطَرًا في مسير الشعب، فتفرَّقت الأمة إلى فئة أصحاب رأس المال والإقطاعيين وإلى فئة العمال، مما سبب ذلك في وجود صراع طبقي اجتماعي.

كما أيقضت الظروف الاستعمارية، الوعي الديني للعالم الإسلامي، فظهرت الحركة التجديدية فيه، وكانت فكرة هذه الحركة، يقودها أول الأمر جمال الدين الأفغاني[١] (١٨٣٨-١٨٩٧م)، وتلميذه

---

[١] محمد بن صفدر، فارسية من "صف" و"در" ومعناها مخترق الصفوف، جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد (بأفغانستان) سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م، ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات. وسافر إلى الآستانة، عاصمة الدولة العثمانية، سنة ١٢٨٥هـ، فجعل فيها من أعضاء مجلس المعارف.

محمد عبده[٢] (١٨٤٩-١٩٠٥م)، ثم ظهر الأعلام المناهضين في كل الأقطار العربية. وقد خالف محمد عبده أستاذَه جمال الدين الأفغاني في طريقة هذه الدعوة الإصلاحية، فعندما عاد محمد عبده من منفاه بسبب مشاركته في الثورة العرابية، رأى عدم استعمال القوة في الوصول إلى الإصلاح، ففرغ نفسه للإصلاح الديني والاجتماعي، لأن في رأيه هذا هو الطريق الذي يؤدي إلى خروجهم من ظروف التخلف والاستعمار.

ومن ثم فإن هذا الفصل، سيكون البيان فيه عن حياة الإمام الساعاتي، التي تشمل على الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية التي عاشها، وأهم اسهاماته في مجال الحديث النبوي. وقد قُسِّم الفصل إلى ثلاثة مباحث، الأول منها: عن عصر الإمام الساعاتي، حيث يشمل على ثلاثة مطالب، الأول عن الحالة السياسية، والثاني عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية، ثم الثالث عن الحالة الثقافية والعلمية. وأما المبحث الثاني فقد خصصتها الباحثة عن حياة الإمام الساعاتي، ثم المبحث الثالث سيكون عن اسهامات الإمام الساعاتي في مجال الحديث النبوي.

ونفي منها سنة ١٢٨٨هـ، فقصد مصر، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون. ونفته الحكومة المصرية سنة ١٢٩٦هـ، فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس. وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى)، ورحل رحلات طويلة، فدعاه السلطان عبد الحميد إلى الآستانة، ومرض فيها، ثم توفي بها سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م، ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة ١٣٦٣هـ. له تاريخ الأفغان و رسالة الرد على الدهريين، ترجمها إلى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده؛ انظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد علي فارس، ٢٠٠٢م، *الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين*، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ج. ٦، ص. ١٦٧ – ١٦٩.

[٢] محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتحديد في الإسلام. ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م، وتعلم بالجامع الأحمدي. بطنطا، ثم بالأزهر. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها. وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ٣ أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية (سنة ١٣١٧ هـ واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، ودفن في القاهرة. من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، لم يتمه، ورسالة التوحيد، و الرد على هانوتو، وشرح نهج البلاغة، ,الإسلام والرد على منتقديه، والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٢، ص. ٢٥٢-٢٥٣.

المبحث الأول

عصر الإمام الساعاتي

إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان بكل جوانبها وأشكالها، لها أثر كبير في نشأته وتكوينه، فالإنسان لا يعيش بمعزل عن الحياة والبيئة المحيطة به، بل هو في تفاعل معها يؤثر فيها ويتأثر بها.

وولد الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي سنة ١٣٠٠هـ الموافق سنة ١٨٨٢م في قرية شمسيرة، التابعة لمحافظة الغربية بمصر، وتَوَفَّى بالقاهرة سنة ١٩٥٨م. وقد شهدت مصر مرت في هذه الفترة أحداث مهمة، كان لها تأثير في نشأة وتكوين شخصيته. وإن الفترة التي عاش فيها الإمام الساعاتي فترة مهمة من تاريخ مصر الحديث، وهي فترة انتقال مصر من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري، وتقدم هذا الانتقال بثورات شعبية متعدِّدة، ضد الحكومة الاحتلالية الانجليزية التي احتلَّت مصر سنة ١٨٨٢م، وضد القصر المَلَكي. كما حدثت في فترة حياة الإمام الساعاتي الحربان العالميتان، وكل ذلك قد ترك أثرًا في مصر وشعبها.

ومن أجل أن تكون صورة شخصية الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي واضحة جليَّة، فسيُعرض في هذا المبحث الأحوال التي عاش فيها الساعاتي، من الناحية السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والعلمية. ومدى تأثير هذه الأحوال فيه وتأثيره فيها.

المطلب الأول

الحالة السياسية

ولد الإمام أحمد عبد الرحمن الساعاتي، ومصر تحت حكم الدولة العثمانية[٣]، برغم تحررها من السيادة المطلقة من الدولة العثمانية، إذ انفصلت مصر عن السيادة العثمانية بعد أن أعلن شيخ البلد علي بك الكبير عن فصل مصر من الدولة العثمانية وتأسيس مملكة مستقلة، سنة ١٧٧١م، وطرد الوالي العثماني من مصر بعد ذلك[٤].

وفي أوائل القرن التاسع عشر أو في سنة ١٨٠٥م، تولى محمد علي باشا[٥] عرش مصر[٦]، فبدأت مصر تحت حكم سلالة محمد على باشا إلى أن حدثت ثورة شعبية سنة ١٩٥٢م، وأصبحت مصر جمهورية، أي قائمة على أساس النظام الجمهوري بعد أن كان قبله قائمة على النظام الملكي.

الحملة الفرنسية وتولى محمد علي حكم مصر

اعتمد الفرنسيون عندما دخلوا مصر سنة ١٧٩٨م على سياسة جديدة في تبرير هذه الحملة على مصر، غير سياسة الإيديولوجية الصليبية المسيحية، بل اعتمدوا على سياسة تحرير مصر من احتلال

---

[٣] صارت مصر ولاية عثمانية في عصر سليم الفاتح (١٥١٧م)، صبري، محمد، ١٩٢٦م ، *تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم*، القاهرة: دار الكتب للمصرية، الطبعة الأولى، ص. ١٩.

[٤] الاسكندري، عمر، وسالم حسن، ١٤١٦هـ، *تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قليل الوقت الحاضر*، القاهرة: مكتبة المدبولي، الطبعة الثانية، ص. ١١٠-١١٢.

[٥] محمد علي (باشا) ابن إبراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير: مؤسس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب. ولد في قولة (التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية) سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م. واحترف تجارة الدخان، فأثرى. وكان أميا، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره. وكثرت في أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة. وكان يحتم على من يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربيّ (المصري) ويتكلموا اللغة العربية ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم إليها. واعتزل الأمور لابنه إبراهيم (باشا) سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضا إلى أن توفي بها سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، ودفن بالقاهرة؛ للمصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٦، ص. ٢٩٨ — ٢٩٩.

[٦] زيدان، جرجي، ١٣٠٦هـ، *تاريخ مصر الحديث*، القاهرة: مكتبة المقتطف، د.ط، ج. ٢، ص. ٢٢٧.

وظلم المماليك. مع ذلك فقد رافقت هذه الحملة لجنة علمية ضمّت ١٥١ شخصًا من العلماء، بهدف تطوير البلد بتقنيات وتنفيذ المشاريع المدنية[٧].

لم يقف بريطانيا كإحدى القوى الإستعمارية في ذلك الوقت صامتةً على الحملة الفرنسية على مصر، إذ فسارعت إلى عقد التحالف مع السلطنة العثمانية ضد فرنسا، حتى سحبت فرنسا قواتها من مصر سنة ١٨٠١م[٨]. ثم بعد أربعة أعوام من انسحاب فرنسا، عيّنت الدولة العثمانية محمد علي الذي وصل إلى مصر على رأس فرقة الروملي لمحاربة الفرنسيين، واليًا وحاكمًا على مصر ابتداءًا من سنة ١٢٢٠هـ، الموافق ١٨ يونيو ١٨٠٥م[٩]، ثم بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م، التى عقدَتها كل من بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا والسلطنة العثمانية، أصبح محمد علي حاكمًا حُكْمًا وراثيًا على مصر وولاية عكا[١٠]. فتولّى مِن بعدِه سُلالته الحكمَ إلى سنة ١٩٥٢م، وكان آخرهم الملك فاروق[١١].

ثورة عرابي واحتلال انجلترا

حقق محمد علي وابنه إبراهيم وحفيده إسماعيل كثيرًا من الأمجاد الخارجية والداخلية، لكن انحرف أحد أبناء محمد علي وهو الخديوي توفيق[١٢]، حيث تآمر مع الشراكسة ضد البلاد، فجاءت الثورة بقيادة

---

[٧] هاشم، رانيا، د.ت، *قصة وتاريخ الحضارة العربية*، د.م، د.ط، ج. ١٧، ص. ٧٩.

[٨] المرجع نفسه، ص. ٨١.

[٩] الصلابي، علي محمد محمد، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩، *الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط*، بيروت: دار البيارق، د.ط، ص. ٥٤٥.

[١٠] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٨٧.

[١١] عوف، أحمد، د.ت، *أحوال مصر من عصر لعصر*، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، د.ط، ص. ١٦٥.

[١٢] محمد توفيق (باشا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، أحد الخديويين بمصر. ولد سنة ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وتعلم بالقاهرة. وأحسن العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية. وتقلد نظارتي الداخلية والأشغال، فرياسة مجلس النظار. وكان أكبر أبناء (إسماعيل) فلما عزل أبوه عن الخديوية، تولاها سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م ببرقية من الآستانة تبعها على الأثر (فرمان) سلطاني بولايته. وفي أيامه أنشئ نظام الشورى، وأنشئت المحاكم الأهلية، وحدد بعض الترع، وأقيمت عدة قناطر كبيرة. وتكاثرت في عهده الأحداث فصبر لها. وفي زمنه نشبت ثورة عرابي باشا سنة ١٢٩٩هـ، وتوفي في القاهرة سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٦، ص. ٦٥.

أحمد عرابي[١٣] لتُعِيْدَ المكانة الشخصية لمصر[١٤]، وكان ذلك في ٩ سبتمبر ١٨٨١م الموافق سنة ١٢٩٩هـ. ومن أثر هذه الثورة، ظهور الحركة السياسية المطالبة باسم الأمة بالدستور والبرلمان والديموقراطية[١٥]. فعُقِدتْ بعد الثورة أول التخابات نيابية حُرَّة في مصر سنة ١٨٨١م، وتشكّل المجلس النيابي الجديد، وتقدّمت الحكومة بمشروع الدستور إلى المجلس لمناقشته وإقراره، وأُصْدِرَ الدستور، وكان أول دستور لمصر أطلق عليه دستور سنة ١٨٨٢م، وبعده أصبحت مصر دولة دستورية لأول مرة في تاريخها[١٦].

ومع وصول عرابي وأتباعه السلطة، تعاظم قلق بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول الاستعمارية، وأصرت بريطانيا بحلها منفردة، وعمدت على غزو مدينة الإسكندرية، ثم الإسماعلية، ثم القاهرة، وحدث كل ذلك سنة ١٢٩٩هـ الموافق سنة ١٨٨٢م[١٧]. ومن هذه السنة بدأ احتلال بريطانيا لمصر. وفي هذه السنة أيضًا، وُلد الإمام أحمد عبد الرحمن الساعاتي بإحدى قرى مصر وهي قرية شمسيرة، التابعة لمحافظة الغربية[١٨].

وقد حرصت بريطانيا منذ احتلالها لمصر أن تبحث عن عناصر قوية تستطيع عن طريقها التمكين لنفسها في مصر أو تثبيت دعائمها لإبقاء سيطرتها على البلاد وتنفيذ مخططاتها الاستعمارية

---

[١٣] أحمد عرابي بن محمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم، زعيم مصري، ممن تركت لهم الحوادث ذكرا في تاريخ مصر الحديث. ولد في قرية (هرية رزنة) من قرى الزقازيق بمصر سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، وجاور في الأزهر سنتين ثم انتظم جنديا في الجيش سنة ١٢٧١هـ، وبلغ رتبة (أميرالاي) في أيام الخديوي توفيق. ولما وقعت المذبحة في الاسكندرية وضربها الانكليز سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م، واستولوا على التل الكبير بعد معارك، فدخلوا القاهرة، فحلوا الجيش المصري ونفوا عرابي باشا إلى جزيرة سيلان سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، حيث مكث ١٩ عامًا. وأطلق في أيام الخديوي عباس سنة ١٣١٩هـ، فعاد إلى مصر وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ١، ص. ١٦٨.

[١٤] شلبي، أحمد، ١٩٨٧م، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية*، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية عشر، ج. ٩، ص. ٤٩.

[١٥] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر من عصر لعصر*، ص. ١٣٤.

[١٦] المرجع نفسه.

[١٧] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٠٣-١٠٥.

[١٨] البنا، جمل، د.ت، *خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه*، القاهرة: دار الفكر الإسلامي، د.ط، ص. ١٤.

فيها، فخضعت المناصب الكبرى لجانبها، وألغت مجلس النواب، كما أبطلت النظام الدستوري على مر السنين[١٩].

ورغم هذا الاحتلال، فإن الحركة السياسية الوطنية في مصر لم تتوقف نشاطاتها، وقد كان أكثر رجالات مصر ينضمون تحت لواء الحركة الوطنية أو ما عُرف بالحزب الوطني، وكانوا يعادون الاحتلال، ويرون أنه مؤقت، وخاصة أن البلاد تتبع اسميًا للدولة العثمانية فهي صاحبة الحق الشرعي، وما انجلترا إلا دولة محتلة باغية مستعمرة. وإن أغلب هؤلاء الرجال من هذه الحركة، قد تأثروا بفكرة جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، وهي فكرة تظهر من معاداة المحتلين ومحاربة أعداء الإسلام[٢٠].

وإن كان جمال الدين الأفغاني قد خرج من مصر، لكن الشيخ محمد عبده، تلميذه هو الذي قام بِبَثِّ فكرته في الحركة العربية، ودفع الناس، وحرّضهم ضد التدخل الأجنبي في شؤون البلاد، مما تسبب في إبعاده إلى بلاد الشام من قِبَل الحكومة المحتلة، وانتقل بعدها إلى فرنسا حيث عمل مع أستاذه الأفغاني في تحرير "العروة الوثقى". واستمرت الحركة الوطنية تؤدي دورها، ثم رجع الشيخ محمد عبده سنة ١٣٠٦هـ الموافق سنة ١٨٨٨م، وتولّى منصب القضاء، ثم كان مستشارًا في محكمة الاستئناف، ثم مفتيًا للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ الموافق سنة ١٨٩٩م[٢١].

وممن تأثر بفكرة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في الساحة السياسية المصرية سعد بن إبراهيم زغلول[٢٢]، الذي لازم جمال الدين الأفغاني مدة، واشتغل مع الشيخ محمد عبده بتحرير مجلة

---

[١٩] يحي، جلال، وخالد نعيم، ١٩٨٤م، *الوفد المصري ١٩١٩-١٩٥٢م*، الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، د.ط، ص. ٩٣.

[٢٠] شاكر، محمود، ١٤٢١هـ، *التاريخ الإسلامي*، بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ج. ٩، ص. ١١-١٢.

[٢١] المرجع نفسه، ص. ١٣.

[٢٢] سعد (باشا) بن إبراهيم زغلول، زعيم نهضة مصر السياسية، وأكبر خطبائها في عصره. ولد في إبيانة من قرى الغربية بمصر سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م. وتوفي أبوه وهو في الخامسة، فتعلم في كتّاب القرية. ودخل الأزهر سنة ١٢٩٠هـ فمكث نحو أربع سنين. واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، فلازمه مدة. واشتغل بالتحرير في جريدة الوقائع المصرية مع الإمام الشيخ محمد عبده، سنة ١٢٩٨هـ. وحصل على إجازة الحقوق، فاشتغل بالمحاماة سنة ١٣٠١هـ ونبه ذكره، فاختير قاضيا، فمستشارا. وتولى وزارة المعارف، وانتخب سنة ١٣٣٧هـ/

"الوقائع"، واشترك في الثورة العرابية. ثم سُجن بعدها، وخرج فاشتغل بالمحاماة، ثم عُيِّنَ قاضيًا، واختير مستشارًا، وأُوكلت إليه وزارة المعارف، ثم وزارة العدل "الحقانية"، ووكالة الجمعية التشريعية، وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م[٢٣].

ومن سمات نشاط الحركة السياسية ظهور الوعي السياسي لدي المصريين بظهور الأحزاب السياسية والصحف السياسية. فأسس مصطفى كامل[٢٤] الحزب الوطني سنة ١٩٠٧م، بعد أن أصدر سنة ١٩٠٠م جريدة اللواء، متَّخِذًا منها مِنبرًا لمحاربة البريطانيين وتوعية الشعب وإذكاء روح الثورة في نفوس المصريين[٢٥].

كما ظهر حزب الأمة سنة ١٩٠٧م، بعد أن تحولت شركة الجريدة إلى حزب، وكان تأثير الشيخ محمد عبده واضحًا على هذا الحزب، وحيث كانت سياسته تقوم على اللين والاعتدال مع الاحتلال، وعلى معاداة الخديوي[٢٦]. ثم برز حزب الإصلاح، هو حزب الخديوي عباس حلمي[٢٧]، أو حزب القصر، وكانت مهمته السرية تفتيت حزب الأمة[٢٨].

١٩١٩م رئيسًا للوفد المصري، للمطالبة بالاستقلال، فنفاه الإنجليز إلى مالطة في ٨ مارس ١٩١٩م، فأصبح اسمه رمزا للنهضة القومية، وتوفى سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٣، ص. ٨٣.

[٢٣] للمرجع نفسه.

[٢٤] مصطفى كامل (باشا) ابن علي محمد: نابغة مصر في عصره، وأحد مؤسسي نهضتها الوطنية. مولده بالقاهرة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، وتوفى بها سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. كان أبوه ضابطا مهندسا، عني بتعليمه فأحرز شهادة الحقوق من جامعة (تولوز) بفرنسة، قبل بلوغه العشرين. وكان فصيحا، ساحر البيان، انصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه. ونشر دعوته السياسية في صحف فرنسة ومجتمعاتها، وأنشأ في مصر جريدة (اللواء) اليومية سنة ١٩٠٠ وجعل يتنقل في البلاد المصرية والفرنسية والإنجليزية، لا يكاد يستقر، سعيا وراء استقلال بلاده. ودعا إلى إنشاء الحزب الوطني، فانعقد أول اجتماع له سنة ١٩٠٧ بدار اللواء، وانتخب رئيسا له طول حياته. وتوفي شابا، فرثاه شعراء مصر وكتابها. له حياة الأمم والرق عند الرومان، وفتح الأندلس، قصة تمثيلية، طبعت سنة ١٣١١ هـ وتحت اسمه، ورسائل مصرية فرنسية. المرجع نفسه، ج ٧، ص ٢٣٨ – ٢٣٩.

[٢٥] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ج. ١٧–١٨، ص. ١٠٨.

[٢٦] متولي، محمود، ١٩٨٠م، *مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل ١٩٥٢م*، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ط، ص. ١٥٣.

[٢٧] عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد علي، ويعرف بالخديوي عباس حلمي الثاني: أحد من حكموا مصر، من أسرة محمد علي. ولد بالقاهرة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، وتعلم بمدرسة عابدين، ثم في فينة وولى الخديوية بعد وفاة أبيه سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م بإرادة

هذه الأحزاب الرئيسة الثلاثة في مصر قبيل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وربما كان الحزب الوطني أهمها وأكبرها. وإضافة إلى هذه الأحزاب الثلاثة الكبيرة وجدت أحزاب أخرى صغيرة، تسير في فلك إحدى القوى البارزة، ومن أبرز هذه الأحزاب: حزب الأحرار الوطني الحر، ويرى تأييد الاحتلال الذي يعد -في نظره- أَسْعَدَ عصور مصر لما فيه من خير لأبناء مصر، والحزب الدستوري الذي يرى تأييد الخديوي والاحتلال، والحزب المصري الذي كان أكثر أعضائه من الأقباط، ويميل إلى انجلترا ، وحزب النبلاء وأكثر أعضائه من السكان ذي الأصول التركية. والحزب الجمهوري الذي شعاره "حرية-إخاء-مساواة"، وهو شعار الثورة الفرنسية أو شعار "الماسون"، وأكثر أعضائه من ذوي التأثر بالثقافة الفرنسية، والحزب الاشتراكي[٢٩].

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وثورة ١٩١٩م

حدثت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م في حياة الإمام الساعاتي، حيث بدأ اندلاع الحرب سنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٤م، بعد إعلان انجلترا الحرب على ألمانيا، وذلك في ٤ أغسطس ١٩١٤م. وقد دخلت الدولة العثمانية بجانب ألمانيا ضد الحلفاء: وهم انجلترا ، وفرنسا، وروسيا، وإيطاليا، واليابان. ولما كانت مصر لا تزال تتبع الدولة العثمانية رسميا، فظهر الخلاف بين المصريين وبَيْن من يدعو إلى توطيد الصلة مع العثمانيين على أنهم يمثلون الخلافة الإسلامية وأن العاطفة الإسلامية تدعو إلى ذلك، وكان الحزب الوطني أكبر التجمعات المصرية وأهمها تبنيًا لهذا الاتجاه؛ وبين من يدعو إلى صفوف انجلترا . وبسبب هذا الموقف والظروف السياسية آنذاك، فقد أعلنت انجلترا الأحكام العرفية في مصر، وفرضت الحماية عليها، وأعلنت فصلها عن الدولة العثمانية رسميًا، ومنعت انجلترا الاجتماعات، وراقبت

سلطانية من الآستانة. وفي أيامه نبغ مصطفى كامل، ومحمد عبده، وشوقي الشاعر، والناهجون مناهجهم، وتوفي بسويسرة سنة ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، ودفن في القاهرة؛ للمصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٣، ص. ٢٦٠- ٢٦١.

[٢٨] المصدر السابق، متولي، *مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل ١٩٥٢م*، ص. ١٥٣-١٥٤.

[٢٩] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ١٤-١٥.

الصحافة، وألغت الأحزاب، وسخرت اقتصاد البلاد لمصلحة الجيش الإنكليزي، وفرضت على الشعب أعمال السخرة في تعبيد الطرق، وحفر الآبار، ومد أنابيب المياه[٣٠]. واعتبرت السلطات البريطانية مصر قاعدتها الرئيسة للعمليات العسكرية في الشرق الأوسط، تُعَدُّ منها حملاتها على فلسطين وسوريا والعراق[٣١].

لقد خرجت انجلترا وحلفاؤها من هذه الحرب منتصرين، وألقت بلغاريا السلاح، وبعدها تركيا العثمانية، التي عقدت في يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٨م هدنة مع بريطانيا وحلفائها[٣٢].

وبعد إنتهاء هذه الحرب، تطلع المصريون إلى المطالبة بالاستقلال، نظرًا للسياسة البريطانية المتبعة[٣٣]. فشكّل سعد زغلول في ١٣ نوفمبر ١٩١٨م وفدًا لمقابلة المندوب السامي البريطاني في مصر آنذاك، مطالبًا إياه باسم الشعب المصري بإلغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وإجلاء بريطانيا عنها، لكن رفضَ المندوب السامي، ولم يسمح الوفد بالسفر إلى لندن للتفاوض، فأصدر سعد زغلول بيانًا أكد فيه حقوق مصر ورفض مبدأ الحماية، وأطلق في البلاد حملة لجمع التوقيعات على بيان المطالب الوطنية، فاشتدت المواجهة بينه وبين سلطات الاحتلال، حتى اِعتقلَ قائدُ القوات البريطانية سعد زغلول مع بعض رفاقه، ونفاهم إلى جزيرة مالطة[٣٤]. وكانت القبضة على الوفود المصريين ونفيهم، مما تُمَهِّد على

---

[٣٠] الجمل، شوقي. وعبد الله عبد الرازق إبراهيم، ١٩٩٧م، *تاريخ مصر المعاصر*، القاهرة: دار الثقافة، د.ط، ص. ١١؛ وشاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ١٨.

[٣١] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥. ص. ٤٩٢-٤٩٣.

[٣٢] المصدر السابق، الجمل، *تاريخ مصر المعاصر*، ص. ١٢.

[٣٣] وكانت السياسة البريطانية المتبعة بتسليم البلاد لبعض أبنائها الذين يمكنهم أن ينفذوا سياستها، ويطبقوا مخططاتها، ويحلوا محلها، إذ ترى البريطانية ذلك أفضل من السيطرة العسكرية، لأنها تكلف الكثير، وتحتاج إلى الجنود، وهو سياسة أكثر ليونة، وأكثر حنكة، وأكثر مكرا ودهاء، وأطول عهدا، وأقل كلفة، وأقل ضجة في العالم. المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١١٠-١١١.

[٣٤] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١١٠-١١١.

اندلاع الثورة ١٩١٩م، حيث بدأت الثورة بتظاهر كلية الحقوق يوم ٧ جمادى الآخرة ١٣٣٧هـ الموافق ٩ مارس ١٩١٩م[٣٥].

طالبت الثورة بالاستقلال الوطني الكامل بعودة سعد زغلول ورفاقه. وفي سنة ١٣٤٠هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٢٢م، صدر تصريح بريطاني، واعترف فيه انجلترا أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة، وانتهت بذلك الحماية التي كانت قد فرضتْها على مصر بعد دخول العثمانيين الحرب ضدها. وشكّل الوزارة عبد الخالق ثروت، بناء على الاتفاق الذي سبق مع الجنرال اللورد اللنبي (Allenby). ومن نتيجة هذا الاتفاق أيضًا، نُفي سعد زغلول إلى عدن، في جزيرة سيشل، ونفي مصطفى النحاس، ومكرم عبيد، وسينوت حنا إلى سيشل أيضًا[٣٦].

وبعد هذه الثورة الشعبية، وفي الساحة الداخلية في مصر، كان النظام الملكي لا يزال سائرًا، حيث أعلن السلطان فؤاد نفسه في ١٥ رجب ١٣٤٠هـ الموافق ١٤ مارس ١٩٢٢م ملكًا على مصر[٣٧]، وتفتت الوحدة السياسية في مصر، وبدأ الخلاف بين الأحزاب السياسية التي يسعى كل واحد منها للوصول إلى كرسي الحكم، وساعدت انجلترا أيضًا على هذا الاختلاف[٣٨]. كما أن الوزارات توالت وتبادلت في مصر، فقد تعاقبت إحدى وأربعون وزارة في مدة لا تزيد كثيرًا من ثلاثين سنة ونصف، وهي سنة ١٣٤٠-١٣٧١هـ الموافق سنة ١٩٢٢-١٩٥٢م[٣٩].

---

[٣٥] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٩٧.

[٣٦] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٣٤-٣٥؛ والجمل، *وتاريخ مصر المعاصر*، ص. ٢٣؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٩٩.

[٣٧] المصدر السابق، الجمل، *تاريخ مصر المعاصر*، ص. ٢٤؛ وباغي، إسماعيل أحمد. ومحمود شاكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، *تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر*، الرياض: دار المريخ للنشر، د.ط، ج. ٢، ص. ٤٠.

[٣٨] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١١٢.

[٣٩] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٨٦؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٠٢-٥٠٣.

وفي ساحة السياسة الخارجية، فقد حاولت مصر عقد مفاوضات مع انجلترا بهدف تحقيق الأهداف الوطنية وإزالة المشكلات والقيود التي فرضها التصريح البريطاني سنة ١٩٢٢م، ابتداءً من مفاوضات سعد زغلول مع مكدونالد، رئيس حزب العمال البريطاني، ثم مفاوضات عبد الخالق ثروت سنة ١٩٢٧م، ومفاوضات النحاس[٤٠] مع هندرسون سنة ١٩٣٠م، إلى أن عقدت معاهدة سنة ١٩٣٦م، التي نصت على زوال الاحتلال البريطاني عن مصر، واعتراف انجلترا بأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة[٤١]. وتنفيذا للمعاهدة، قدمت الحكومة المصرية طلبًا للإنضمام لجمعية الأمم، ووافقت الجمعية العمومية على قبول مصر لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٣٧م[٤٢].

سقوط الخلافة الإسلامية وحركة الإخوان المسلمين

ولما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣-١٣٣٧هـ الموافق سنة ١٩١٤-١٩١٨م، دخلت الدولة العثمانية التركية الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا، في حين تمكنت انجلترا من جر العرب إلى جانب الحلفاء من بريطانيا وفرنسا وروسيا، وأوقع هذا الصدام بين العرب والترك[٤٣]، ثم انتهت الحرب لصالح الحلفاء، فألقت الدولة العثمانية السلاح وعقدت في يوم ٣١ أكتوبر ١٩١٨م هدنة مع بريطانيا وحلفائها[٤٤].

---

[٤٠] مصطفى النحاس (باشا): زعيم مصري. ولد في سمنود سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م، وتعلم بها وبالقاهرة، وتخرج بمدرسة الحقوق سنة ١٩٠٠م، وعمل في المحاماة بالمنصورة إلى أن عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة ١٩٠٤م، وانتسب إلى الوفد المصري برئاسة سعد زغلول سنة ١٩١٨م، وسافر معه وثارت مصر في طلب الاستقلال فكان من طلائع شبابها، وتولى رئاسة الوزارة خمس مرات، وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م؛ للمصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٧، ص. ٢٤٦.

[٤١] المصدر السابق، الجمل، *تاريخ مصر المعاصر*، ص. ٤٩-٥٤.

[٤٢] المرجع نفسه، ص. ٥٦.

[٤٣] المصدر السابق، الصلابي، *الدولة العثمانية*، ص. ٧٣١.

[٤٤] المصدر السابق، الجمل، *تاريخ مصر المعاصر*، ص. ١٢.

احتل الحلفاء واليونان أجزاء الدولة العثمانية، ووقعت الإستانة تحت سيطرة الإنجليز، وأصبح الخليفة كالأسير فيها، وخُلعَ السلطان عبد الحميد، وأُقيمت على آثاره جمعية الاتحاد والترقي في الحكم[٤٥]. وأصدرت بريطانيا وعد بلفور للصهيونية في محرم ١٣٢٦هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩١٧م بأن تكون فلسطين وطنًا قوميًا لليهود[٤٦].

ثم في مارس ١٩٢٤م، أعلنَ مصطفى كمال أتاتورك (ت: ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) إلغاء الخلافة الإسلامية وأطفأ شعلة الخلافة التي كان المسلمون طيلة القرون يستمدون من بقائها رمز وحدتهم واستمرار كيانهم[٤٧]. ولهذا الأمر أثره الكبير على المسلمين كمًا ونوعًا، وكانت معظم أفكار العالم الإسلامي قد باتت مجزأةً وخاضعةً للاستعمار، وتتعرض لعملية اختراق سياسي واقتصادي وثقافي، تستهدف القضاء على ثوابت الإسلام وملامح الحضارة الإسلامية[٤٨].

وقد سعت كل فئة من الأمة لإيقاظها، وكان الحزب الوطني في مصر قد حمل راية الكفاح ضد الاستعمار، وخاض المعارك من أجل التأكيد على القيم الإسلامية كالحجاب، باعتباره أحد واجبات الإسلام ورفض السلوك الغربي والقيم الغربية، حيث دخلت صحيفة اللواء الناطقة بلسان الحزب الوطني هذه المعركة ضد قاسم أمين[٤٩] وصحيفة حزب الأمة التابع للاستعمار الانجليزي[٥٠]. ولكن بدأت قوة هذا الحزب تضعف، مما يستدعى أن تظهر قوة شابة وصاعدة تحمل الراية لتواجه التحديات من استعمار ومن

---

[٤٥] المصدر السابق، الصلابي، *الدولة العثمانية*، ص. ٧٣٢.

[٤٦] المرجع نفسه.

[٤٧] حسون، علي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، *تاريخ الدولة العثمانية*، القاهرة: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ص. ٢٨٧.

[٤٨] مورو، محمد، ١٤١٤هـ، *الحركة الإسلامية في مصر من ١٩٢٨-١٩٩٣م رؤية من قرب*، القاهرة: الدار المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص.٦٣.

[٤٩] قاسم بن محمد أمين المصري، كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها، كردي الأصل. ولد ببلدة "طره" بمصر سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٣م، وانتقل مع أبيه الضابط أميرالاي محمد بك أمين إلى الإسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة. وأكمل دراسة الحقوق في "مونبلييه" بفرنسة. وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م، فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة. فمستشارا بمحكمة الاستئناف. وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. له تحرير المرأة، والمرأة الجديدة؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٥، ص. ١٨٤.

[٥٠] المصدر السابق، مورو، *الحركة الإسلامية في مصر*، ص. ٦٥.

صهيونية التي بدأت تظهر ملامحها في فلسطين، ولتُواجِه أعباء التخلف والجهل والتبعية والاختراق السياسي والثقافي والاقتصادي الأوربي للعالم الإسلامي عمومًا، ولمصر خصوصًا[٥١].

فظهرت حركة الإخوان المسلمين سنة ١٣٤٦هـ الموافق سنة ١٩٢٧م بمدينة الإسماعلية، بوصفها في أول الأمر جمعية دينية تحض على "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، على يد الإمام الشهيد حسن البنا[٥٢]، وهو أحد أبناء الإمام الساعاتي، وتعلق نشاطها في البداية بالوعظ الديني والدعوة لإقامة مسجد أو لبناء مدرسة مع استثارة المشاعر الإسلامية لدي الناس ضد مظاهر التحلل الأخلاقي. ثم خاضت هذه الجماعة ضد الاستعمار والصهيونية والجهل والتبعية، وانحازت إلى الفقراء والمستضعفين، وناضلت أيضًا ضد الاستبداد السياسي. وقد حققت حركة الإخوان المسلمين انتشارًا واسعًا في صفوف الجماهير، واعتمدت الحركة على أسلوب التربية لبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم[٥٣].

وفي الحقيقة فإن حركة الإخوان اعتبرت نفسها في ذلك الوقت امتدادًا لحركة الكفاح الإسلامي في مصر من أجل النهضة وفي مواجهة الاستعمار مع إدراك ضرورة ربط مصر بالعالم الإسلامي، وفهم المتغيرات على الساحة التي طرأت في ذلك الوقت، وهي تلتقط الراية من الحزب الوطني قبل سقوطه[٥٤].

---

[٥١] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٨٥.

[٥٢] حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا، مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنضم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، وهو الابن الأكبر للإمام الساعاتي، وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقل في بعض البلدان متعرفا إلى أهلها، مختبرا طباعهم وعاداتهم. واستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه، فعاهدوه على السير معه لإعلاء كلمة الإسلام، واختار لنفسه لقب المرشد العام، فأقاموا بالإسماعيلية أول دار (للإخوان) وبادروا إلى إعلان (الدعوة) بالدروس والمحاضرات والنشرات. وكان خطيبا فياضا، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظِّماً، يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان، وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. وله مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية) وكُتب في سيرته (روح وريحان، من حياة داع ودعوة – ط) لأحمد أنس الحجاجي؛ للمصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٢، ص. ١٨٣ – ١٨٤.

[٥٣] البشري، طارق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، *الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥/١٩٥٣م*، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الثانية، ص. ١١١؛ ومورو، *الحركات الإسلامية في مصر*، ص. ٦٦.

[٥٤] المرجع السباق، مورو، *الحركات الإسلامية في مصر*، ص. ٦٦.

وقد تأثر حسن البنا في إنشاء الجماعة بفكرة مصطفى كامل، من الحزب الوطني، واعتبره المجاهد الإسلامي الذي فهم الإسلام أمةً واحدةً، وحرص على الدعوة للجماعة الإسلامية[٥٥]. كما تأثر حسن البنا بشخصية جمال الدين، ومحمد عبده، والكواكبي[٥٦]، يسيرون بالناس دينيًا وخلقيًا إلى ناحية مثمرة"[٥٧].

لقد سنحت ثورة فلسطين ضالته للعمل والتوسع، وأكسبه تأييد الثورة عطف مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، واتصل بحكام البلاد العربية والإسلامية وملوكها، وبدأ يهاجم السياسة البريطانية[٥٨]. فتقرب إلى حسن البنا علي ماهر[٥٩] ليستفيد من نشاطه الجم وتنظيم جماعته الدقيق وليكتسبا منه دعمًا لهما في الميدان العربي، وإن استهدف حسن البنا أن يستغل هذه الصلة في أهدافه الخاصة، وقويت الجماعة كثيرًا في هذه الفترة[٦٠].

وعندما انتقل حسن البنا إلى القاهرة مدرسًا بمدرسة عباس بالسبتية، وانتقل مركز الثقل في الدعوة إلى العاصمة، فتعددت نواحي النشاط بإلقاء المحاضرات والدروس وإصدار الرسائل والنشرات،

---

[٥٥] المرجع السباق، مورو، *الحركات الإسلامية في مصر*، ص.٦٧.

[٥٦] عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، ويلقب بالسيد الفرات،: رحالة، من الكتاب الأدباء، ومن رجال الإصلاح الإسلامي. ولد بحلب سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م، وتعلم فيها، وأنشأ فيها جريدة (الشهباء) فأقفلتها الحكومة، وجريدة (الاعتدال) فعطلت، وأسندت إليه مناصب عديدة، ثم حنق عليه أعداء الإصلاح، فسعوا به، فسجن وخسر جميع ماله، فرحل إلى مصر، وساح سياحتين عظيمتين إلى بلاد العرب وشرقي إفريقية وبعض بلاد الهند، واستقر في القاهرة إلى أن توفي سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. له من الكتب، منها: أمّ القرى، وطبائع الاستبداد؛ المصدر السابق، الزركلين *الأعلام*، ج. ٣، ص. ٢٩٨.

[٥٧] المصدر السابق، مورو، *الحركة الإسلامية في مصر*، ص. ٦٦.

[٥٨] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ١١٤، نقلا عن " Christina Harris, Nationalism and Revolution in Egypt, p ١٨٢.

[٥٩] علي ماهر باشا ابن محمد ماهر باشا: عالم بالقانون الدولي، من رؤساء الوزارات علي ماهر بمصر. ولد بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وتعلم فيها. وأجيز بالحقوق سنة ١٩٠٢م، ومنحته جامعة فؤاد الأول "الدكتوراه" الفخرية. وعمل في المحاماة وتقلب في مناصب القضاء ١٤ عاما. وشارك في الحركة الوطنية ١٩١٩م، واستقال من عمله الحكومي، ثم انشق عن حزب زغلول، ثم كان له جهد بارز في إقناع فاروق (آخر ملوك مصر) بالنزول عن العرش، وولاه الجيش رئاسة الوزارة في ابتداء هذه الثورة ١٩٥٢م، ولم يطل عهده وانطوى على نفسه في أعوامه الأخيرة إلى أن توفي مستشفيا في جنيف سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ونقل إلى القاهرة؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٤، ص. ٣٢١.

[٦٠] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ١١٤.

وعقد المؤتمرات وإحياء الاحتفالات الدينية وإنشاء شعب الجماعة في القاهرة والأقاليم، كما أصدرت الجماعة مجلة أسبوعية بِاسمها، تفاؤلا بأنها ستكون جريدة يومية[٦١]. وكان إنشاء جريدة يومية مطمحا سياسيا واضحا، لأن الصحيفة اليومية بالضرورة تكون صحيفة سياسية، أو تكون ابتداء ظهور الحزب من الجريدة[٦٢].

وتم تصدى الجماعة للمسائل السياسية بعد هذه الفترة، ولم يكن تصديها من خلال الصراعات الحزبية الصريحة، ولكن من خلال الدعوة لجملة من المبادئ السياسية العامة مثل مهاجمة الحزبية والزعامة. وفي هذا الصدد، فقد رأى حسن البنا، "يجب أن يكون الزعيم زعيمًا متربي ليكون كذلك، لا زعيمًا خلَّقتْه الضرورة وزعَّمته الحوادث فحسب، أو زعيمًا حيث لا زعيم..."[٦٣]، وفي ظروف تلك الفترة، كانت هذه الدعوة وهذا الكلام دعوة موجَّهة لحزب الوفد، باعتباره الحزب الحاكم وقته.

فكان موقف مرشد الإخوان المسلمين من الحُكّام، موقفًا سياسيًا للجماعة لهم، ويزداد هذا الموقف وضوحًا بعد أن أصدر الإخوان مجلة "النذير"، فاتُّخِذَ عملها السياسي أسلوبًا سافرًا، وذلك سنة ١٣٦٧هـ الموافق سنة ١٩٣٨م[٦٤]. وقد أوضح حسن البنا في افتتاحية العدد الأول من مجلة النذير أن الجماعة انتشرت وبلغ عددُ شعبها ثلاثمائة شُعبة وأنها ستنتقل من دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، ثم حدد حسن البنا منهجه بأنه سيبدأ بتوجيه دعوته إلى قادة البلد ورجال السياسة والحكم والأحزاب. وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م، زاد نشاط الإخوان، وكثر

---

[٦١] البنا، حسن، ٢٠٠١م، *مذكرات الدعوة والداعية*، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، ص. ١٤٩.

[٦٢] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ١١٢.

[٦٣] المصدر السابق، البنا، *مذكرات الدعوة*، ص. ١٤٦-١٤٧.

[٦٤] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ١١٣.

عددهم، وانضم إليهم أعضاء جدد كثيرون، وأصبح لهم فرق للجوالة، ولجمع السلاح، ولهم تنظيم خاص سري يتدرب على الطاعة والسلاح [٦٥].

وكان زيادة نشاط الإخوان في الساحة السياسية، قد تسبب في زيادة خوف أطراف سياسية أخرى، منها الإنكليز، والقصر، ورجالات الأحزاب السياسية. ولاسيما بعد ما نشبت الحرب العربية-اليهودية في ١٥ مايو ١٩٤٨م، وخاضت مصر فيها مع ست دول عربية أخرى في الحرب التي انتهت في يناير ١٩٤٩م، كانت لجماعة الإخوان المسلمين الدور الفعال في هذه الحرب، فناولت الشعبية الكبيرة في مصر [٦٦]، مما زاد تخوف بريطانيا، والأحزاب السياسية والملك، فبدؤا يكيدون لتفتيت هذه الجماعة، فأصدرت حكومة النقراشي بعد ذلك بحل هذه الجماعة ومصادرة ممتلكاتها في ٧ صفر ١٣٦٨هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، ولكن لم يمض أكثر من ٢٤ يومًا حتى قُتل النقراشي في ٢٧ صفر، فتعرضت جماعة الإخوان المسلمين لضغوط كثيرة، وبدأت باعتقال أعضاء الجماعة ومطاردتهم، وقُتل مرشدها العام حسن البنا بعد ذلك في ١٤ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٤٩م، أي بعد مقتل النقراشي بستة وأربعين يومًا [٦٧].

ولقد أصاب مقتل حسن البنا أسرته بضربة لم تفق منها، خصوصًا والده الإمام الساعاتي ووالدته. وقد كان حسن البنا للأسرة ذخرها وفخرها وأملها، وكانت محنة ابنه قد أثرت في الإمام الساعاتي تأثيرًا قويًا، حتى وإن كان قد استأنف الإمام الساعاتي عمله في طبع ونشر كتابه "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" [٦٨].

---

[٦٥] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص ١١٦؛ وشاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٢٣٢.

[٦٦] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر*، ص. ١٦٣.

[٦٧] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ٢٣٢.

[٦٨] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٧٣-٧٤.

واستمر قرار حل الجماعة، حتى ألغي في عهد وزارة حسن سري في أوئل سنة ١٣٦٩هـ الموافق سنة ١٩٤٩م، حيث شاركت الجماعة في العمليات الفدائية على ضفاف نهر النيل، وكان لها الدور الأساسي في تلك الأعمال[٦٩].

الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م وثورة ١٩٥٢م

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م، وَفَتْ مصر بالتزاماتها تجاه بريطانيا وفقًا لمعاهدة ١٩٣٦م، ففُرضت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف، بل على المكالمات الهاتفية. وسُمح للقوات البريطانية بتفتيش المنازل والأهالي الذين منعوا من الاقتراب من المواقف العامة والمنشآت الصناعية. واتخذت الحكومة المصرية برئاسة علي ماهر موقفًا حياديًا في هذه الحرب، وإن كان الشعب المصري مؤيدًا ولو بالخفاء لدول المحور ضد البريطانيين[٧٠].

وما كادت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م تنتهي حتى بدأ التحرك الشعبي من جديد للمطالبة بتعديل معاهدة ١٩٣٦م وبالاستقلال التام، فاندلعت المظاهرات مرة أخرى في سبتمبر ١٩٤٦م، فحاولت الحكومة المصرية تحقيق المطالب الشعبية عن طريق المفاوضات، ولكنها لم تنجح[٧١].

وفي انتخابات سنة ١٩٥٠م، فاز حزب الوفد بأكثرية المقاعد النيابية، وشكل مصطفى النحاس حكومته في يناير ١٩٥٠م، وقد وعد الوفديون في برنامجهم الانتخابي بالقضاء على الحكم الاستبدادي، وتحقيق استقلال مصر، فأفرجوا عن المعتقلين السياسيين، وحاولوا أيضًا تنفيذ بعض الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، لكنهم فشلوا. وحدثت الاضطرابات، حيث أضرب العُمال المصريون في القاعدة البريطانية في القناة عن العمل، وبدأت المظاهرات الشعبية تطالب بـ"إسقاط معاهدة ١٩٣٦م"،

---

[٦٩] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٢٣٤.

[٧٠] المصدر السابق، باغي وشاكر، *تاريخ العالم الإسلامي*، ج. ٢، ص. ٤١؛ وهاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١١٧-١١٨.

[٧١] المصدر السابق، باغي وشاكر، *تاريخ العالم الإسلامي*، ج. ٢، ص. ٤٢.

ولم يكن للوفد إلا العمل بإلغاء هذه المعاهدة، فقد صاح النحاس في ١٦ أكتوبر ١٩٥٠م في البرلمان، "باسم الشعب وقعتُ معاهدة ١٩٣٦م وباسم الشعب أُعلن إلغائها"[٧٢].

ولكن عمل إلغاء الحكومة المصرية لمعاهدة ١٩٣٦م، لم تعترف به حكومة بريطانيا، بحجة أنه أُتخذ من جانب واحد. فزادت بريطانيا قواتها العسكرية في مصر، وبدأت تحتل المدن المصرية مرة أخرى ، ابتداءا من المدن القريبة للقناة كمدينة بور سعيد والإسماعيلية والسويس. فتحركت المشاعر الوطنية مجددا في نفوس المصريين بهذا الاحتلال، وسارت التظاهرات في منطقة القناة عدة أيام، وأطلقت القوات البريطانية النار على المتظاهرين، ثم توسعت التظاهرات في أنحاء البلاد كافة. بدأ الطلبة والعمال بتكوين "كتائب التحرير" أو "فصائل الفدائيين"، وهاجموا المعسكرات والمطارات والثكنات العسكرية البريطانية، ففجروا مخازن الوقود البريطانية ونسفوا شبكة أنابيب المياه، وخسر البريطانيون خسائر فادحة على أثر هذه الهجمات[٧٣].

فقامت القوات البريطانية بتدمير بعض القرى حول الإسماعيلية، وبدأت بقمع النضال الشعبي فيها، فقد حاصرت قسم شرط الإسماعيلية، وأطلقت النار على رجال الشرطة فيها، واشتهرت هذه الحادثة بمجزرة الإسماعيلية، التي أثارت بعدها الغضب الشعبي في شتى أنحاء البلاد، ففي ٢٦ يناير ١٩٥٢م، انفجر الشعب كالبُرْكان، وسارت مظاهرة احتجاج في شوارع القاهرة، وحدثت الحرائق في عدد من دور السينما والمحلات التجارية فيها، وبسبب عدم قدرة الحكومة الوفدية على حفظ النظام والأمن، استقالت هذه الحكومة، وفقد الوفد بذلك نفوذه بين الشعب[٧٤].

---

[٧٢] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٢٧.

[٧٣] المرجع نفسه، ص. ١٢٨.

[٧٤] المرجع نفسه، ص. ١٢٩.

أتُّهم الملك فاروق بتدبير حريق القاهرة بالتعاون مع القوات البريطانية وأعداء البلاد، فتفاقمت النقمة الشعبية، وكانت الأحزاب السياسية تصارع بعضها بعضًا في مثل هذه الظروف، مما دفع الجيش بالتحرك لإصلاح الأوضاع. ففي صبيحة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م استولت فئة من الضباط المصريين، المعروفة بـ"الضباط الأحرار" على السلطة في القاهرة، وسيطرت على قيادة الجيش ومبنى الإذاعة وعلى باقي المراكز الحكومية، والمرافق الحيوية في المدينة[٧٥]. ودام الانقلاب من ٢٣ إلى ٢٦ يوليو عندما أجبر الضباط الأحرار الملك فاروق على التنازل عن العرش، فأبحر فاروق من الإسكندرية إلى خارج البلاد على متن يخته "المحروسة"، فانتهى بذلك حكم أسرة محمد علي التي حكمت البلاد لمدة قرن ونصف منذ تولي محمد علي الحكم سنة ١٨٠٥م[٧٦].

وفي ١٨ يونيو ١٩٥٢م، ألغيت المَلَكِيَّة في مصر وأعلنت الجمهورية وانتخب محمد نجيب أول رئيس لها، ثم تولى جمال عبد الناصر الحكم بعد استقالة محمد نجيب في ١٤ توفمبر ١٩٥٤م، واختير جمال رئيسًا للجمهورية إثر استفتاء شعبي جري سنة ١٩٥٦م[٧٧].

وفي ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م، وُقِّعَتْ في القاهرة اتفاقية بريطانية-مصرية تنص على جلاء القوات البريطانية عن مصر في خلال ٢٠ شهرًا من تاريخ توقيعها، وفي ١٣ يونيو ١٩٥٦م، رحل آخر جندي بريطاني عن مصر، فانتهت بذلك فترة احتلال بريطانيا على مصر، التي استمرت في مدة ٧٤ سنة[٧٨].

ثم حدث في سنة ١٩٥٦م العدوان الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) على مصر، وذلك بعد تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦م، حيث بدأ هذا العدوان في أكتوبر ١٩٥٦م، بإسقاط إسرائيل

---

[٧٥] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر*، ص. ١٦٤-١٦٥؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٣٥؛ وهاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٣٣.

[٧٦] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر*، ص. ١٦٥.

[٧٧] المصدر السابق، باغي وشاكر، *تاريخ العالم الإسلامي*، ج. ٢، ص. ٤٢.

[٧٨] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٣٩.

قوة من المظلات في سيناء، ثم قصف الطيران البريطاني=الفرنسي القاهرة والإسكندرية ومدن منطقة القناة، واستمرت الغارات الجوية حتى ٦ نوفمبر ١٩٥٦م[٧٩].

فاجتمع مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فور وقوع العدوان، ووافق المجلس على قرار إدانة إسرائيل ووقف إطلاق النار الفوري وسحب القوات الإسرائيلية إلى خطوط الهدنة، مع إرسال قوة السلام تحت هيئة الأمم المتحدة، وفي مارس ١٩٥٧م عادت الوحدات الإسرائيلية إلى خط الهدنة. وأصدر الرئيس عبد الناصر بعد ذلك قرارًا بإلغاء اتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤م، الخاصة بمنطقة قناة السويس[٨٠].

ثم حدث في تاريخ العرب عمومًا وفي تاريخ مصر وسوريا خصوصًا في سنة ١٩٥٨م، إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة، المتَكَوِّنة من مصر وسوريا، ثم انضمت إليها اليمن على أساس فيدرالي، لكن انهارت هذه الجمهورية في سنة ١٩٦١م[٨١].

وهكذا كانت الحياة السياسية التي تدور في مصر، بلد الإمام الساعاتي، وقد كانت بداية حياته سنة ١٨٨٢م هي بداية احتلال انجلترا لمصر، وإن ظهرت الحركة السياسية والوعي السياسي لدي المصريين بعدها بظهور عديد من الأحزاب السياسية، لكن هذه الأحزاب كانت تصارع بعضها بعضًا لأجل الحصول على كراسي الحكومة، وهذه الأحزاب كذلك تطورت في ظل الاحتلال وسياسته، فتصارعت الأحزاب لمصالح الاحتلال من جانب ومصالح الملك من جانب آخر، وقلّ أن يكون لمصلحة الشعب.

كما ظهرت في ساحة تاريخ مصر حركة دينية في بداية الأمر، ثم نشأت وتطورت حتى صارت هذه حركة دينية شاملة: اجتماعية واقتصادية وسياسية، وهي حركة الإخوان المسلمين، ولهذه الجماعة دور

---

[٧٩] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٣٧؛ والجمل، *تاريخ مصر المعاصر*، ص. ٧٩.

[٨٠] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٥٠؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ص. ٨٣٧.

[٨١] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٤٧-٥٤٨؛ وهاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٥٥-١٥٧.

فعال في المجتمع المصر خصوصًا وفي المجتمع الغربي عمومًا. وكان المؤسس لهذه الحركة هو الابن الأول للإمام أحمد عبد الرحمن الساعاتي، فكان رمز فخر الأسرة، وكان وفاته أثر تأثيرًا كبيرًا على الأسرة عمومًا، وعلى الإمام الساعاتي خصوصًا، كما سيتضح الأمر عند الكلام عن سيرة حياة الإمام الساعاتي.

المطلب الثاني

الحالة الاقتصادية والاجتماعية

يرى المؤرخون إن العصر الحديث لتاريخ مصر يبدأ من تولي محمد علي باشا عرش مصر، ويعتبر بعض المؤرخين مثل الدكتور أحمد شلبي، يبدأ عصر استقلال مصر، وذلك بسبب أن نفوذ تركيا في الواقع قد تَقَلَّص في مصر، حتى لم يَعُد يُحسَب له حساب، ثم إن المماليك ضعف شأنهم أو زال[٨٢]. وقد وُلي محمد علي باشا واليًا ثم حاكمًا لمصر سنة ١٨٠٥م، وذلك بعد احتلال فرنسا لمصر الذي بدأ سنة ١٧٩٨-١٨٠١م. وإن قَصُرَتْ مدَّةُ احتلال فرنسا على مصر، لكنها أثرت تأثيرًا قويًا في مستقبل مصر في كل مجالات حياتها، سياسية، وإقتصادية، وإجتماعية، وعلمية. حيث فتح احتلال فرنسا لمصر عيون المصريين بتقدم فرنسا والدول الأوربية على مصر والدول العربية، إذ وقعت الدول العربية بعد هذه الفترة تحت استعمارات الدول الأوروبية. كما أن هذا الاحتلال قد بث الوعي لدي المصريين لالتحاق ليتقدم هذه الدول.

فبعد أن استقر محمد علي باشا في الحكم على مصر، بدأ بأعمال تحديث مصر لتلحق بركب التقدم الأوربي في كل مجالات الحياة.

وفي مجال النظام الاقتصادي والاجتماعي، قام محمد علي ومن تولى من بعده سعيد ولده الرابع، بتنظيم إدارة الدولة، حيث جعل الإدارة مركزية. وحسّن وسائل جباية الضرائب وأحسن نظام اختيار المجندين وتفعيل سير العدالة. فأصدر سنة ١٨٥٨م قانونًا يتعلق بالأرض، المشهور باللائحة السعيدية، التي تنص بحق المواطنين بامتلاك الأراضي وحق انتقالها وراثياً، بينما قبله كانت الأراضي ملكًا للمواطنين مدى حياتهم فقط، مقابل الضرائب التي يجب على الفلاحين دفعها للدولة. وقد استثنى من دفع

---

[٨٢] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٣٨٤.

الضرائب بعض الأراضي الخاصة مثل أرض الوصايا، وأرض الأبعاديات[٨٣]، ثم الجفالك والشفالك[٨٤]، كما تنص هذه اللائحة على إلغاء الاحتكار الزراعي[٨٥].

وفي مجال تطوير الزراعة، فقد قام محمد علي ومن بعده، بمجموعات من إصلاحات، منها بناء القناطر الخيرية على رأس الدلتا، التي أفادت تنظيم توزيع المياه على فرعي النيل، فتعود بالفائدة على أرض الصعيد. كما أُنْشِئَتْ التِّرَع كإنشاء تُرْعَة "المحمودية" بالبحيرة، وترعة المنصورية بالدقهلية، كذلك إنشئت الجسور. وكانت سياسة إنشاء هذه الترع والقناطر، قد استلزم إقامة مدن التي أصبحت فيما بعد مدنًا كبيرة، مثل مدينة الزقازيق التي أنشئت بمناسبة إنشاء قناطر بحر مويس. ومن آثارها أيضا زيادة رقعة الأرض الصالحة للزراعة. ومع توسعة الأرض الزراعية، فقد أدخلت لمصر حاصلات زراعية جديدة كالقطن والدخان وأشجار الزيتون وغيرها[٨٦].

لكن هذه الإصلاحات الزراعية، لم ينعم بها الفلاح المصري كما ينبغي، وذلك بسبب انتشار الاحتكار الذي ينطوى على الظلم والإرهاق، وفيه مصادرة لِحَقِّ الملكية، وحرمان المالك من الاستمتاع بحقه، ومن الانتفاع بتزاحم التجار على الشراء. فالذي يستفيد كثيرًا من هذه الإصلاحات هو طبقة الإقطاعيين الذين يستغلون جهود الفلاحين وحاصلاتهم، فتزداد ثرواتهم، بينما الفلاحون لا يزالون يعيشون في ضيق عيشهم[٨٧].

---

[٨٣] وسميت بها لأنها استبعدت من مجموع الأراضي الممسوحة، وهبها محمد علي على كبار الموظفين ورجال الجيش وهي معفاة من الضرائب. المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٣٩٤.

[٨٤] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٣٩٤-٣٩٥؛ وهاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٨٨؛ الجفالك والسفالك هي الإقطاعيات التي منحها محمد علي على أفراد أسرته وكبار حاشيته، هي أيضًا معفاة من الضرائب.

[٨٥] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤١٢.

[٨٦] المرجع نفسه، ص. ٣٩٦.

[٨٧] المرجع نفسه.

وفي مجال الصناعة أُدخلت لمصر مجموعة الصناعات المهمة بالإضافة إلى مصانع الأسلحة، وذلك مثل مصانع الغزل والنسيج ومصانع سبك الحديد، ومصانع السكر والورق والصابون والزجاج. لكن قد سرى مبدأ الاحتكار من الزراعة إلى الصناعة، حتى لم يتمتع الصناع الصغار من هذا التطور[٨٨].

وأما في مجال التجارة، فقد انتعشت التجارة انتعاشًا واسعًا، بسبب التطور الذي شهدته الزراعة والصناعة، ثم ما تحقق من فائض التصدير. وقد ساعدت الطرق البرية، وطرق السكك الحديدية من انتعاش التجارة الداخلية، كما ساعد الأسطول التجاري وإصلاح ميناء الإسكندرية على انتعاش التجارة الخارجية[٨٩].

وأكبر مشروع قامت به أسرة محمد علي هو حفر قناة سويس، حيث يبدأ المشروع في حكم سعيد باشا (تولى الرياسة من ١٨٥٤-١٨٦٣م)، وواصله إسماعيل باشا (تولى الرياسة ١٨٦٣-١٨٧٩م)، الذي تم في عهده افتتاح هذه القناة وذلك في ١٧ نوفمبر ١٨٧٩م. ويكلف هذا المشروع مليون جنيه، الذي اسْتَدانَتْه الدولة من البلاد الأوروبية. وقد ترك هذا المشروع ديونًا هائلة ومتراكمة، بل تسبب في إفلاس الدولة، وتدخُّل البلاد الدائنة في شئون مصر الداخلية، المالية، والاقتصادية، والسياسية[٩٠]. وكانت الأحوال الاقتصادية متردية، ولا سيما، وأن أسعار القطن المصري إنخفضت عالميًا، لسبب منافسة القطن الأمريكي للقطن المصري والأسباني في الأسواق العالمية[٩١].

وبسبب تراكم الديون الإنجليزية والفرنسية على مصر، وعجز إسماعيل باشا عن تسديدها؛ أعلن إسماعيل إفلاس مصر، ففرضت فرنسا وبريطانيا سيطرتهما على مالية مصر. وبالفعل، أُنشئ صندوق

---

[٨٨] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٣٩٦.

[٨٩] المرجع نفسه، ص. ٣٩٧.

[٩٠] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٨٩؛ وعوف، أحوال مصر، ص. ١٢٨.

[٩١] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر*، ص. ١٢٩.

الدَّيْن تحت إشراف مُمَثِّل من كِلْتا الدولتين، وكان من مهمته إعداد الميزانية المصرية ومراقبة الدخل والضرائب والنفقات العامة. فأصبحت مصر محتلة ماليًا وقضائيًا للمصالح الأجنبية[٩٢].

وأمام هذا الكساد الاقتصادي والإضرار السياسي الذين سادا البلاد، أجبرت الدول الأوروبية الدائنة إسماعيل على التنازل عن الخديوية لابنه توفيق سنة ١٨٧٩م، ونفي للآستانة وتوفى هناك سنة ١٨٩٥م. وقد بلغت سنة ١٨٧٥م ديون مصر حوالي ٦٨ مليون جنيه، فكوَّنَتْ الدول الدائنة لجنة "كيف" للاطلاع على ميزانية الحكومة المصرية، ثم كونت هذه اللجنة المصارف المشتركة مثل المصرف الانجليزي-المصري، والمصرف الإيطالي-المصري، والمصرف الفرنسي-المصري، وأخذت هذه اللجنة وهذه المصارف تدير الميزانية المصرية، فباعت امتياز استغلال المناجم والتنقيب على البترول لشركات بريطانية، فضاعفت الجمارك وأسعار النقل والشحن والسكك الحديدية، مما جعل الأهالي يلجئون للشحن والنقل النهري. وهذه الاجراءات تسببت إلى كساد التجارة والصناعة في مصر، وبهذه الحالة أصبحت للأجانب السيطرة الكاملة على مصر وميزانيتها[٩٣].

وبعدها تدافق التجار الأجانب آتين إلى مصر، ويطلق على أولئك التجار الأجانب في الدولة العثمانية المستأمنين، ومن أجلهم، فقد أصدرت الدولة العثمانية تنظيمات لهؤلاء الأجانب من الناحيتين المدنية والقانونية، بهدف تشجيع التجار والتجارة بين الدولة العثمانية والدول الأجنبية. وقد راجت فعلاً التجارة بعد صدور هذه التنظيمات، لكن مع تهاوي الدولة العثمانية وضعفها ظهرت مشاكل بين رعايا دولة وأخرى، حيث كان قناصل كل دولة يجاملون رعاياهم. فكونت الدولة المحاكم المختلطة من مندوبين

---

[٩٢] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٩٨.

[٩٣] كارل بروكلمان، ١٩٦٨م، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، نقله إلى العربية، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ص. ٥٨١.

عن ست عشرة قنصلية ليقيموا بالحكم في قضايا الأجانب، ولكن تكوين هذه المحاكم قد تسبب إلى جعل رعية أجنبية اليد العليا في مصر حتى على الخديوي[٩٤].

وإزاء الواقع المؤلم الذي أثاره الخديوي توفيق في البلاد، نقم عليه الشعب المصري، وشملت تلك النقمة صفوف الجيش المنقسمون إلى حزبين: الحزب التركي والحزب المصري، فحدثت الثورة الشعبية الأولى في تاريخ مصر الحديث تحت قيادة أحد قواعد الجيش المصري وهو أحمد عرابي، فاشتهرت الثورة باسمه أو ثورة عرابي، وذلك سنة ١٢٩٩هـ الموافق سنة ١٨٨٢م[٩٥]. ولم ترض بريطانيا بهذه الحالة، حتى قصفت قواتها مدينة الإسكندرية في ١١ يوليو ١٨٨٢م، واحتلتها بعد ذلك. وابتدأ من هذا، احتلال بريطانيا على مصر[٩٦].

ما بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وثورة ١٩١٩م

عندما حدثت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وقاسى العالم كله أهوال هذه الحرب، منها مصر. والحقيقة لم تكن مصر فيها ناقة ولا جَمَل في هذه الحرب، لكن يقع عليها الضر المؤكد بسبب مشاركة الدولة العثمانية اشتراكًا مباشرًا في جانب الألمانيا[٩٧]، وبسبب أن مصر وقتَها تحت احتلال بريطانيا، أصبحت مصر قاعدة عسكرية لدول الحلفاء. فقد جُنِّد الفلاحون المصريون للعمل قسرًا داخل البلاد وخارجها، وقد اقتُلعوا من بيوتهم وانتُزعت منهم ماشيتهم وأنعامهم، وثقلت المجاعة من وطأتها على الطبقات الفقيرة. فقد احتملت مصر ألوانًا من الآلام في الحرب، ولم تكن يومًا في مصلحتها[٩٨].

---

[٩٤] المصدر السابق، عوف، *أحوال مصر*، ص. ١٢٩- ١٣٢.

[٩٥] المصدر السابق، الاسكندري وسالم حسن، *تاريخ مصر من الفتح العثماني*، ص.٢٦٦-٢٦٧؛ وعوف، *أحوال مصر*، ص. ١٣٤؛ وكارل بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ص. ٥٩٠-٥٩١.

[٩٦] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١٠٥-١٠٧.

[٩٧] خوض تركيا غمار الحرب العالمية الأولى في صف الدول الوسطى (ألمانيا) رَجَاةَ أن تُوفِّق إلى القضاء على نفوذ بريطانية وفرنسا في الشرق الأدنى؛ المصدر السابق، كارل بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ص. ٦٠٣.

[٩٨] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ص. ٤٩١-٤٩٢.

وعن أهوال هذه الحرب للمجتمع المصري، نشر الكولونيل ألجود (Algord) تفاصيل مريرة لما أصاب الشعب المصري في أرزاقه وأمواله، ومن الاستيلاء على محصولاته ودوابه، وفي تسخير العمال في الأشغال والحركات العسكرية، واستخدام المرافق العامة كالسكك الحديدية حتى تلفت من كثرة الاستعمال، وتحويل مباني المدارس إلى مستشفيات. ونزلت الخسائر الفادحة بالمزارعين بسبب التحكم في أسعار أقطانهم، ومزاحمة الأهلين في غذائهم وجمع الأموال منهم في مناسبات مختلفة[٩٩].

لقد خلفت هذه الحرب رغبة المصريين للحصول على استقلال بلادهم، فطالبوا بإلغاء الحماية البريطانية عليها والاعتراف باستقلال مصر، لكن رفضت بريطانيا طلب الشعب المصري، فاشتدت المواجهة بينهم وبين سلطات الاحتلال، حتى أعتقل سعد زغلول مع بعض رفاقه، وتم نفيهم إلى جزيرة مالطة[١٠٠]. وكانت هذه القبضة وهذا النفي للوفود المصريين تمهدًا لاندلاع ثورة ١٩١٩م[١٠١]. وقد تحققت بعض أهداف هذه الثورة، فصدر تصريح بريطاني سنة ١٩٢٢م، واعترفت باستقلالية مصر، وانتهت الحماية البريطانية عليها[١٠٢].

فقد رأى المصريون أن النجاح السياسي الذي حققته ثورة ١٩١٩م، لا يكتمل إلا بنجاح اقتصادي، فحدثت اليقظة الاقتصادية، ويرى المصريون أن مدافعة الاحتلال من شعب لن تجدي إلا بمحاربة المحتل حربا اقتصادي، فعمدت البلاد إلى الاعتماد على نفسها، والأخذ بنظام الاكتفاء الذاتي. ثم اتجهت الحكومة المصرية إلى تأسيس بنك مصر وشركاته على يد طلعت حرب[١٠٣]، ورفاقه سنة

---

[٩٩] المصدر السابق، بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ج. ٥، ص. ٤٥-٤٦؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ص. ٤٩٢.

[١٠٠] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ١١٠-١١١.

[١٠١] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٩٧.

[١٠٢] المصدر السابق، شاكر، *التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٣٤-٣٥؛ والجمل، *وتاريخ مصر للمعاصر*، ص. ٢٣؛ وشلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٩٩.

[١٠٣] محمد طلعت (باشا) ابن حسن بن محمد حرب، زعيم مصر الاقتصادي. ولد في القاهرة سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م، تخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة سنة ١٨٨٩م، وعين مترجما، فمديرا لبعض الشركات. ثم أنشأ شركة التعاون المالي سنة ١٩٠٨م، وبدأت شهرته برسالة عارض فيها

١٩٢٠م، بعد أن أخفقت هذه الفكرة قبل ذلك بسنوات. وتطورت مصر بالنشاط الاقتصادي تطورًا هائلاً، فصدر قانون الشركات، وأنشئت العديد من الصناعات التي ارتقت في كثير من الأحوال، فنافست الصناعات العالمية، وكان إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧م تساعد الحكومة المزيد من التطور في الجانب الاقتصادي[١٠٤].

كما أنشئت سنة ١٩٢٤م هيئة الطيران المدني، ثم أنشئت في ١٢ يناير ١٩٣١م شركة مصر للطيران، واستُحْدث مطار القاهرة والإسكندرية، وشُقت الطرق العظمى إليهما. كما أنشئ في هذه الفترة وهو في عهد الملك فؤاد بنك التسليف الزراعي، وذلك في ٢٠ أبريل ١٩٣١م، بعد انخفاض عالمي كبير في أسعار القطن، وأرهق الفلاحين، وعُهد إلى هذا البنك الجديد منح الفلاحين قروضا، تساعدهم على الزراعة، إضافة إلى إيجاد الأسواق لمنتجاتهم. وقد نُظم الري والصرف في هذه الفترة، وتم بناء قناطر نجع حمادي، وأنشئ المتحف الزراعي وكثر استصلاح الأراضي[١٠٥].

وأنشئت مدينة بور توفيق بسبب وجود تراكم البضائع في بورسعيد الميناء الرئيسي الذي يصل قناة السويس بالبحر الأبيض المتوسط، علاوة على رغبة الحكومة في إيضاح أن قناة السويس ليست حدودًا للمدن، إذ يمكن أن تمتد غرب القناة وشرقها، وتتاح وسيلة النقل الملائمة بينهما، وقد وضع الملك فؤاد الأول حجر أساس هذه المدينة في ٢١ ديسمبر ١٩٢٦م.

مشروع مد امتياز شركة القناة سنة ١٩١٠م سماها قنال السويس. ودعا في تلك السنة إلى إنشاء بنك مصري، فعورض، ودأب إلى أن نجحت دعوته سنة ١٩٢٠م، فأنشأ بنك مصر، وألحق به فرويعا وشركات ضخمة، كان معظمها من نتاج تفكيره وجهده، ولم تحسن مكافأته في أواخر أيامه، وهو إلى ذلك كاتب باحث، ألف كتبا ورسائل، منها تربية المرأة والحجاب، والبراهين البينات على تعليم البنات، وعلاج مصر الاقتصادي. توفى بالقاهرة سنة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٦، ص. ١٧٥–١٧٦.

[١٠٤] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٩، ص. ٥٣؛ وعطا، محمد مصطفى، ١٩٥٦م ، *مصر بين ثورتين*، سلسلة إخترنا لك، رقم: ١٦، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، ص. ٦٣.

[١٠٥] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ص. ٥٣٣.

ولكن برغم هذا التطور والتحسن في أحوال البلاد الاقتصادية في أعقاب ثورة ١٩١٩م وما أعقبها من حروب وحركات تحريرية، إلا أن ذلك لم ينعكس على الشعب المصري إلا بعد أن نالت مصر استقلالها التام في الخمسينات، وهي بعد ثورة ١٩٥٢م[١٠٦].

الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م إلى فترة ما بعد ثورة ١٩٥٢م

تأثرت حالة مصر الاقتصادية في فترة الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م وما بعدها، بما حدث الانهيار المالي الكبير في بورصة الأوراق المالية في نيويورك، فسبَّبَ إلى الكساد الاقتصادي الكبير للولايات المتحدة، والعديد من دول العالم في أكتوبر ١٩٢٩م. وتعتبر هذه أكبر أزمة اقتصادية عالمية حدثت في هذا القرن، وعرفت باسم "الثلاثاء الأسود"[١٠٧].

كان لهذه الكارثة الاقتصادية آثارها القوية على الاقتصاد المصري، باعتبارها إحدى المستعمرات التي تدور فى فلك إنجلترا إحدى دول المركز، وأيضاً لارتباط العملة المصرية بالجنيه الإسترليني .

وقد ظهرت أولى آثار الأزمة الاقتصادية في مصر على شكل انخفاضٍ رهيب في أسعار القطن وصعوبة بالغة في تسويقه في تاريخ مصر الاقتصادي. والشاهد أن مصر بمدنها وريفها قد تأثرت بشدة بهذا الكساد العالمي، سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي، فشمل أحوال المعيشة والزواج والطلاق والتعليم والصحة والبطالة والإجرام والبغاء والمخدرات. وأكيد أن الأزمة الاقتصادية خنقت الأسواق وأدت إلى إفلاس كثيرين نتيجة استمرارها بضعة أعوام.

---

[١٠٦] مرسي، أحمد علي، ١٩٩٦م، *المجتمع المصري موسوعة مصر الحديثة*، القاهرة: وزارة الثقافة والهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد التاسع، د.ط، ص. ٢٠.

[١٠٧] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٤٢.

واستمرت هذه الحالة الاقتصادية في مصر إلى أن حدثت ثورة يوليو ١٩٥٢م، وتغير نظام الحكم فيها، من النظام الملكي إلى النظام الجمهوري[١٠٨].

لقد شهدت مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م، وانهيار النظام الملكي، تطوارت اقتصادية وإجتماعية. فقد كان قبل الثورة المجتمع المصري منقسم إلى طبقتين: الأولى الطبقة الحاكمة، التي تمثل فقط ٤% من المجتمع المصري، والثانية الطبقة العامة التي تمثل حوالي ٩٦%، فانخفض هذا التفاوت بعد الثورة. حيث قامت الحكومة بتحسين مستوى المعيشة لكل مصري ووضعت الحكومة أيضًا نظام التأمين الاجتماعى والمعاشات لمعظم المصريين. فسياسة الحكومة، قد ساعدت على إذابة الكثير بين الطبقتين، وأبناء الشعب المصري طبقًا لقانون المساواة في الحقوق والواجبات، فأصبح من أبناء الشعب الوزراء والعلماء ورجال الأعمال، وأصبح المجتمع المصرى مجتمع مفتوح الكل له حق الحياة والسعي فيها، وكل حسب اجتهاده وعمله[١٠٩].

ومع قيام الثورة، اهتمت الحكومة بالاقتصاد، وبدأت فى سياسة الإصلاح الزراعى، بتقسيم الأراضى الزراعية على صغار الفلاحين مما ساعد على اهتمام الفلاح بأرضه بعد أن كان مجرد أجير. وهذا ساعد على زيادة حصيلة مصر من الزراعة، أيضًا بدأت الثورة فى إقامة السد العالى مما يمكن مصر من زراعة الأراضى ثلاث مرات سنويًا، وتحويلها من الحياض إلى الرى الدائم، مع اهتمام الدولة بإضافة العديد من الأراضى الجديدة بإنشاء ترعه السلام بسيناء، مع الاهتمام بالتصدير للخارج من المنتجات الزراعية ذات الجودة العالمية مما زاد من العائد الاقتصادي، مع تحسين وتطوير قناة السويس للسماح بمرور القافلات العملاقة والتى أصبحت الآن الدخل الأساسى لمصر من رسوم العبور بالقناة[١١٠].

---

[١٠٨] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٥٤٣.

[١٠٩] المرجع نفسه، ج. ٥، ص. ٥٤٥-٥٤٦.

[١١٠] المصدر السابق، مرسي، *المجتمع المصري*، ص. ٢٠.

كذلك تعمل الدولة على الانفتاح الاقتصادي على العالم والسماح بالاستثمار فى مصر على أوسع نطاق وإنشاء العديد من الموانى والمطارات التى تساعد على سرعة وملاحقة التطور الاقتصادي العالمى بين الدول. وكان هذا التطور فى الاقتصاد المصرى مؤقتًا، الفضل فى تحسيين الأحوال الاقتصادية لخلق فرص العمل للمصريين وتحسين الأحوال الاقتصادية لمصر وزيادة معدل النمو الاقتصادي[١١١].

الحياة الاقتصادية للإمام الساعاتي

كان الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي من أسرة الفلاح المصري، التي تمتلك أسرته عدة فدادين من الأرض. فعاش الإمام الساعاتي حياة بسيطة في ظروف اقتصادية صعبة، لكن رغبته في العلم وطلبه قد تغلب على هذه الظروف الاقتصادية. وعندما ذهب في طلبه العلم بمدينة الإسكندرية، تعلم فيها أيضا عن إصلاح الساعات، فأصبح بعد ذلك من حرفته، واشتهر من بعده بالساعاتي[١١٢].

وبعد عودته من طلبه العلم بالإسكندرية، واصل الإمام الساعاتي حرفته في تصليح الساعات، بالإضافة إلى نشر علمه، بل لقد اشترى هو وزوجته بيتًا ودكانًا على ذيل بيته مباشرة لتصليح وبيع الساعات بعد انتقاله إلى المحمودية، فكانت السنوات الأولى لحياة الإمام الساعاتي فيها رضية سخية[١١٣].

ثم اتسع عمل الإمام الساعاتي بالمحمودية، حيث عُيِّن بعد فترات من حياته فيها مأذونًا وإمامًا، وذلك سنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٣م. لكن عمل المأذونية وتصليح الساعات وبيعها لم يكفيا لسد حاجته وأسرته، ولاسيما بعدما رزق الأبناء. فحاول الإمام الساعاتي لزيادة دخله المالي بفتح محل بقالة، ولكن تجربته فيه فاشلة، وخسر معظم ما أنفقه، لأن بمثل هذا العمل يحتاج إلى التفرغ، ولم يكون

---

[١١١] المصدر السابق، مرسي، *المجتمع المصري*، ص. ٢١.

[١١٢] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٥-١٦.

[١١٣] المرجع نفسه، ص. ١٨.

للساعاتي استعداد للتفرغ بسبب إنشغاله في العلم، ففكر في عمل إضافي آخر لا يعطله، ويمكنه القيام به في ساعات فراغه في البيت، واختار عمل تجليد الكتب[١١٤].

وعندما استقرت أمور الإمام الساعاتي في المحمودية، بدأت فكرة الإنتقال إلى القاهرة تراوده، وذلك بعد التحاق ابنه الأول حسن البنا بدار العلوم، وأخيرا انتقل الإمام الساعاتي وأولاده إلى القاهرة سنة ١٩٢٤م. لكن تختلف حالة القاهرة عن المحمودية، فأصابت الإمام الساعاتي أزمة مالية في وقت أن بدأ أولاده دخول المدارس. فعندما بدأت الضائقة الاقتصادية تطبق عليه، وسعت رحمة الله بالساعاتي، حيث عُيِّن ابنه حسن البنا مدرسًا بالإسماعيلية بمُرتّب خمسة عشر جنيهًا، واستطاع أن يخفف عبء الإمام الساعاتي بمبلغ أربعة أو خمسة جنيهات[١١٥].

لم يكن الإمام الساعاتي بعد انتقاله إلى القاهرة مستعدًا لتخصيص وقت كبير لكسب المال، لأن ذلك سيكون على حساب مشروعه "الفتح الرباني"، وإن تيسر له بعض المال، فقد أنفقه على الطبع، حتى أنه أوقف تماما عمل طبع "الفتح الرباني" عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م، والتي تسبب إلى ندر الورق وارتفاع سعره، ثم امتنع أن يبقى في الكلية، وفي حينه كان قد طبع من "الفتح الرباني" ثلاثة عشر جزءًا[١١٦].

---

[١١٤] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٧.

[١١٥] المرجع نفسه، ص. ٤٦.

[١١٦] الساعاتي، أحمد عبد الرحمن، ١٤٠٣هـ، *بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن مذيلا بالقول الحسن شرح بدائع المنن*، القاهرة: مكتبة الفرقان، الطبعة الثانية، ج. ٢، ص. ٤٤٠.

المطلب الثالث

الحالة الثقافية والعلمية

فُتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٨هـ، على يد عمرو بن العاص، وقد بنى بها عمرو بن العاص، فاتح مصر مسجده المعروف اليوم باسم "جامع عمرو بن العاص" سنة ٢١هـ[١١٧]. وأصبحت مصر منذ ذلك الحين تمثل مركزًا من أهم المراكز السياسة والفكرية في العالم الإسلامي.

ووَفَد كثير من القبائل العربية على مصر جماعات وفرادى، وأقاموا بها، وذاعت اللغة العربية بين أهليها، وقد استقر بمصر كثير من الصحابة، ومشاهير التابعين وأتباع التابعين، ونشأت بها طبقة من المجتهدين كالليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥هـ، وهاجر إليها الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤هـ[١١٨]، وخلفه البويطي المصري المتوفى سنة ٢٣١هـ[١١٩].

وقد نمت الحركة العلمية في الفسطاط، وكثرت الحلقات في مسجد عمرو الذي كان مركزًا علميًا لنشر الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة، وكَبُرتْ هذه الحركة العلمية واتسعت، وازدهرت. وأمّ في هذا المسجد الجامع كثير من العلماء الأعلام، والأئمة المجتهدين، ممن أفادوا العالم الإسلامي، وأدوا له خدمة صادقة في ميادين الشريعة واللغة والعلوم[١٢٠].

وبعد أن استقلت مصر من حكم الدولة العباسية في عهد أحمد بن طالون سنة ٢٣٥هـ، فقد بنى بها جامعه المشهور، وهو جامع أحمد بن طالون، وأصبح بعد ذلك محط الرحال، ومجلس العلماء،

---

[١١٧] السيوطي، جلال الدين،١٩٦٧، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، مصر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ج. ٢، ص. ١٣٣.

[١١٨] المرجع نفسه، ص. ١٢٠ و١٣٨.

[١١٩] المرجع نفسه، ص. ١٢٣.

[١٢٠] أبو سديرة، السيد طه، د.ت، *الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص، عصر الولاة*، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، ص. ٤٥.

ومستقرًا للحلقات العلمية الكثيرة التي تُدَرَّس فيها علومُ الدين واللغة والأدب، ومع هذا، ما زال مسجد عمرو يؤدي رسالته العلمية[١٢١].

ولما خضعت مصر في سنة ٣٢١هـ للدولة الإخشيدية، وولى عليها محمد بن طغج الإخشيدي، ظل مسجد عمرو بن العاص ومسجد أحمد بن طالون يؤديان رسالتهما العلمية إلى أن فتح الفاطميون مصر على يد قائدها جوهور الصقلي سنة ٣٥٨هـ[١٢٢].

وأسس جوهر الصقلي جامعه المشهور إلى الآن وهو جامع الأزهر، كما أسس مدينة القاهرة، التي أصبحت بعد ذلك عاصمة للدولة الفاطمية، وكان الهدف الأساسي من بناء هذا المسجد نشر المذهب الشيعي، ولم يتغير هذا الهدف إلا بعد مجيء صلاح الدين الأيوبي إلى القاهرة، وأصبح الأزهر من ذلك الحين رمزًا للحركة العلمية والفكرية في مصر إلى اليوم[١٢٣]، فظل الأزهر يقوم بدوره كالمؤسسة الدينية العلمية في عصر الدولة الفاطمية، ثم الأيوبية، ثم المملوكية، ثم الدولة العثمانية، ابتداءًا من سنة ٩٢٢هـ.

ثم أخذت الحركة الفكرية بمصر تضمحل في أواخر القرن التاسع الهجري، عندما ضعفت قوى الدولة المملوكية وفي طريقها إلى الإنْهيار، فاضطربت أحوال المجتمع، وأصابت المدارس بالركود، وتقلص ظل الإزدهار العلمي، إلى سقطت في يد الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٢هـ الموافق سنة ١٥١٧م[١٢٤].

فكانت سياسة الأتراك عقب فتحها لمصر، تجريد مصر الإسلامية من دخائرها النفيسة في الآثار والكتب من المساجد والمدارس والمجموعات الخاصة، ليودعوها مكتبات العاصمة التركية، ومنها مؤلفات خطّية لكثير من أعلام القرن التاسع الهجري المصريين مثل المقريزي، والسيوطي، والسخاوي، وابن إياس،

---

[١٢١] المصدر السابق، السيوطي، *حسن المحاضرة*، ج. ٢، ص. ١٣٧.

[١٢٢] خفاجي، محمد عبد المنعم، ١٤٠٨هـ، *الأزهر في ألف عام*، بيروت: عالم الكتب، والقاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية، ج. ١، ص. ١٧.

[١٢٣] عوف، أحمد محمد، ١٣٩٠هـ، *الأزهر في ألف عام*، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، د.ط، ص. ٧.

[١٢٤] المصدر السابق، خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، ج. ١، ص. ١١٥.

مما يندر وجوده بمصر صاحبة هذا التراث العملي. كما قامت الدولة العثمانية بإلقاء القبض على العلماء الأعلام والزعماء وقادة الفكر، فبعثت بهم جميعًا إلى عاصمة الدولة في تركيا. فقد قضى الفتح العثماني على مظاهر النشاط الفكري التي كانت مزدهرة في عهد السلاطين، فانهار صرح الحركة الفكرية الإسلامية، وتضاءل شأن العلوم والفنون، وانحطّ معيار الثقافة، بعد أن كانت مصر محط العلماء بعد سقوط بغداد على أيدي المغول، وانقضاء البقية من سلطة المسلمين في الأندلس[١٢٥].

وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية في مصر عقب الفتح التركي، كما انهارت عناصر القوة والحياة في المجتمع المصري، وتضاءل شأن العلوم والآداب، وانحط معيار الثقافة، واختفى جيل العلماء الأعلام الذين حفلت بهم العصور السالفة، ولم يبق من الحركة الفكرية الزاهرة التي أظلتها دولة السلاطين المصرية سوى آثار دراسة، يبدو شعاعها الضئيل من وقت إلى آخر[١٢٦].

وزادت هذه المأساة بدخول فرنسا مصر سنة ١٧٨٩م، لاحتلالها، إلى أن أرسلت الدولة العثمانية قواتها لإخراج فرنسا من مصر بالتحالف مع بريطانيا، وانسحبت فرنسا من مصر سنة ١٨٠١م. وبعد انسحابها من مصر، عينت الدولة العثمانية محمد علي واليًا على مصر ابتداءًا من سنة ١٨٠٥م، وبعده توالت ذريته حكم مصر إلى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م[١٢٧].

فقد رأي أكثر المفكرين أنْ حملة نابليون على مصر سنة ١٢١٣هـ الموافق سنة ١٧٩٨م، ثم تولي محمد علي عرش مصر هي بداية لعصر النهضة الحديثة، باعتبار أن هذه الحملة قد هزت عقل الإنسان الغربي، فكانت المحركة التي بعثت إحساس المجتمع إلى الشعور بالحاجة الماسة إلى ضرورة الأخذ بأساليب

---

[١٢٥] ابن إياس، محمد بن أحمد، ١٩٦٠م، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، القاهرة: مطابع الشعب، د.ط، ج. ٣، ص. ١١٩؛ يعقد ابن إياس، مؤرخ الفتح العثماني فصلاً خاصًا يذكر فيه أسماء مئات من الأكابر والعلماء المصريين الذين نفاهم السلطان سليم إلى القسطنطينية.

[١٢٦] المصدر السابق، خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، ج. ١، ص. ١١٨.

[١٢٧] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٨١.

حضارية ملائمة، تُواكب متطلبات العصر وتساعده على حفظ كيانه العرقي والحضاري[١٢٨]. وكانت هذه النهضة شاملة، ولم تقتصر على ناحية من نواحي الحياة، فهي تشمل النهضة السياسية بظهور الحركة السياسية التي تهدف إلى الخروج من قبضة الاستعمار الغربي، وكذلك النهضة العلمية، سواء كانت في علوم تطبيقية، وأدبية لغوية، وعلوم دينية.

ومن ظواهر هذه النهضة، إرسال البعثات إلى الدول الأوروبية، فقد أرسل محمد علي سنة ١٨٢٦م أول بعثة مصرية إلى فرنسا، وكانت تتكوَّن من أربعين شابًا، ثم زِيْدَ عددُهم فيما بعد. ولما عاد أعضاء البعثة اعتمد عليهم محمد علي، وأحلَّهُم محلَّ الأجانب الذين كانوا يشغلون مناصب كبرى في الدولة، وقد نجح أعضاء البعثات المصريين في مهمتهم أكبر نجاح، ولا تزال أسماؤهم تَتَرَدَّد كرُوَّاد للفكر والحضارة في البلاد، ومن أهمهم رفاعة رافع الطهطاوي وعلي مبارك[١٢٩].

وعنى الخديوي إسماعيل من بعد محمد علي بالبعوث، فاختار مجموعة من الشبان أوفدهم إلى فرنسا، وانجلترا، وإيطاليا وغيرها، لدراسة الطب والهندسة والقانون والفنون الجميلة، وبلغ عدد أعضاء البعوث في عهده مائتي شخص[١٣٠].

ومن أثر هذه البعثات أن تأسيس المدارس والجامعات، لتخريج المئات من المثقفين لشؤون الحكومة الدواوين وحاجات الجيش، وبخاصة أن توظيف المتخصصين الأجانب كان يُكَلِّفُ الدولةَ نفقات ضخمة[١٣١].وأنشأ محمد علي مجموعة من المدارس العليا، مثل مدرسة الطب، ومدرسة الهندسة، ومدرسة الصيدلة، ومدرسة الزراعة، ومدرسة الألسن، والمدارس الحربية المختلفة، كما أنشأ عددًا من المدارس

---

[١٢٨] المحافظة، علي، ١٩٨٧، *الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة*، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، د.ط، ص. ٩-١٠.

[١٢٩] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٣٩٤.

[١٣٠] الرجع نفسه، ص. ٤٢٣.

[١٣١] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٩٣.

الابتدائية والثانوية، وقد وجه محمد علي عناية كذلك إلى الأزهر، وفقد وجد فيه معينًا يستمد منه حاجاته من الطلاب لتغذية المدارس العالية وليكونوا أعضاء للبعثات[١٣٢].

ثم عُني التعليم في مختلف مراحله، ونالت البنت عناية واسعة من إسماعيل، فأنشأ لها مدرسة السيوفية، ومدرسة الغربية اللتين اندمجتا فيما بعد في المدرسة السنية. وأعاد ديوان المدارس الذي يعتبر نواةً لوزارة التربية والتعليم، وأصدر لائحة التعليم الإبتدائي في المدن والقرى، فقد أُنْشِئَ في عهد إسماعيل ٤٨١٧ مدرسة، وكان عدد المدارس قبله ١٨٥ فقط، وربط بين الكتاتيب وبين المدارس الابتدائية وأكثرَ المدارس التجهيزية والفنية والعالية، فأقام بذلك نظامًا قوميًا للتعليم المصري[١٣٣].

وأنشأ علي مبارك، أحد المبعوثين إلى فرنسا في عصر محمد علي، مدرسة "دار العلوم" في يونيو ١٨٧١م، وارتبطت دار العلوم في أول مراحلها بدار الكتب، فقد خصص منها قاعة للمحاضرة في الأدب واللغة والهندسة وغيرها. وكان يقوم بإلقاء هذه المحاضرات كبار الأساتذة المصريين والأجانب في العلوم الإسلامية والعربية وفي الهندسة وعلوم الطبيعة والكيمياء، وكانت هذه المحاضرات تلقى لكبار رجال وزارة المعارف، وكبار الموظفين في السكك الحديدية وبعض المتفوقين من طلاب الأزهر والمدارس العليا[١٣٤]. ثم أصبحت دار العلوم في سنة ١٩٤٦م، كلية من كليات جامعة القاهرة، ويتزايد طلابها وطالباتها بشكل ملحوظ، فيلتحق بها عدد كبير من كل مكان بالعالم العربي والإسلامي والغربي[١٣٥].

وفي مجال الفكر الديني ومؤسساته، ظهرت الحركة الإصلاحية أو الحركة التجديدية في النظر على العلوم الدينية، بهدف تنقية الدين على وجه الخصوص، والتراث عمومًا مما علق به من خرافات وانحرافات وشوائب. وكانت الظروف السياسية التي أصابت العالم الإسلامي قد جمدت الحركة الفكرية، حتى أن

---

[١٣٢] المصدر السابق، عوف، *الأزهر في ألف عام*، ص. ٣٣.

[١٣٣] المرجع نفسه، ص. ٤٢.

[١٣٤] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٢٤-٤٢٥.

[١٣٥] المرجع نفسه، ج. ٥، ص. ٤٢٧-٤٢٨.

احتكّ العالم الإسلامي بالعالم الغربي عن طريق استعماراتها للعالم الإسلامي، وقد نبهت الظروف الاستعمارية وأيقضت الوعي الديني للعالم الإسلامي، فظهرت الحركة التجديدية. وكانت هذه الحركة أو فكرة هذه الحركة أول الأمر يقودها جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨-١٨٩٧م)، وتلميذه محمد عبده (١٢٦٦-١٣٢٣هـ/١٨٤٩-١٩٠٥م)، ثم ظهر الأعلام المناهضين في كل الأقطار العربية[١٣٦].

يعدُّ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده، واحدًا من أبرز المجددين في الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ودعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد سَاهَمَا بعلمهِمَا ووعيهما واجتهادهما في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شَارَكَا في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العالم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. لكن يخالف محمد عبده أستاذه جمال الدين الأفغاني في طريقة هذه الدعوة الإصلاحية. فعندما عاد محمد عبده من منفاه بسبب مشاركته في الثورة العرابية، رأى عدم استعمال القوة في الوصول إلى الإصلاح، وأن يفرغ نفسه للإصلاح الديني والاجتماعي، لأن في رأيه هو الطريق الذي يؤدي إلى خروجهم من ظروف التخلف والاستعمار. وجاراه في عمله الإصلاحي تلميذه السيد محمد رشيد رضا، فأنشأ مجلة المنار لنشر آراءه في الإصلاح[١٣٧].

وفي سبيل تطوير التعليم في مصر، أُفتتحت جامعة القاهرة سنة ١٩٠٧م، التي ترجع فكرة إنشائها إلى سنة ١٩٠٦م، عندما نشر الشيخ علي يوسف، صاحب جريدة المؤيد خطابًا من مصطفى كامل الغمراوي، الذي طالب بإنشاء الجامعة المصرية، ثم كونت اللجنة التأسيسية للمشروع برئاسة سعد

---

[١٣٦] الصعيدي، عبد المتعال، ١٤١٦هـ، *المجددون في الإسلام القرن الأول إلى الرابع عشر*، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ط، ص. ٣٩١.

[١٣٧] المصدر السابق، الصعيدي، *المجددون في الإسلام*، ص. ٣٩١-٣٩٢.

زغلول، ثم قاسم أمين، بعد أن تَوَلَّى سعد زغلول وزيرًا للمعارف[١٣٨]. ثم أنشئت من بعدها جامعات مَصرية أخرى ابتداءًا من سنة ١٩٢٥م، منها جَامعَة الإسكندرية سنة ١٩٤٢م، وجَامعَة عين شمس سنة ١٩٥٠م، وجامعة أسيوط سنة ١٩٥٧م. كما نال الأزهر عناية كبرى في هذه الفترة، فصدرت عدة قوانين لإصلاحه، وأنشئت به الكليات، وكثرت المعاهد، وفتحت عدة فروعه في الأقاليم المصرية[١٣٩].

ومن مظاهر النهضة الإسلامية والعربية التي حدثت في مصر، هي نشأة المكتبات وحركة إحياء التراث الإسلامي والعربي. حيث أن المكتبات تعد إحدى أهم سمات الثقافة العربية، وهي تزدهر من النتائج المباشرة لازدهار فن الطباعة في الوطن العربي، انبعاث الكتاب وانتشارها، وفي مقدمته المصادر الكبرى، وعيون الكتب والمؤلفات والمتون، كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، والحيوان، والبيان والتبيين للجاحظ، والخصائص لابن جني، وغيرها. وبفضل الطباعة صار الكِتابُ سلعةً متوفرةً للراغب في العلم والمعرفة، وفي متناول الجميع بأسعار ميسورة وأشكال جذابة، فنشطت العائلات والمساجد والجمعيات والمدارس والمعاهد والجامعات والنوادي والجهات الرسمية في إنشاء المكتبات المنزلية، والخاصة والعامة. وأصبح العلمُ في وسع ومقدور كل راغب فيه طالب له. وعلى مستوى الدولة، فقد أسست "دار الكتب"، حيث تجمع فيه المخطوطات النفيسة، عشرات الآلاف من الكتب والفنون والعلوم المختلفة، من منازل العلماء، ومن المساجد والأضرحة. وعنى إسماعيل بالآثار المصرية، وأنشأ لها دار الآثار المصرية، كما أمر بتشييد دار الأوبرا، واستخدم في تجملها عددًا كبيرًا من المصويرين والفنانين والرسامين[١٤٠].

---

[١٣٨] المصدر السابق، شلبي، *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ج. ٥، ص. ٤٨٧-٤٨٨.

[١٣٩] المرجع نفسه، ص. ٥٣٢-٥٣٣.

[١٤٠] المرجع نفسه، ص. ٤٢٣.

ومن ومظاهر هذه النهضة أيضًا تأسيس المطبعة والصحف أو الجرائد. عندما عاد نابليون إلى فرنسا، قد خلّف بمصر المطبعة التي جلبها معه سنة ١٧٩٨م ليطبع بها القوانين والأوامر والتعليمات ومستندات التدريس لجيشه، وبفضلها اكتسب المصريون خبرة في فن الطباعة. ثم انشأ محمد علي المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٢٣٨هـ الموافق سنة ١٨٢١م[١٤١].

وقد لعبت هذه المطابع دورًا كبيرًا في نشر التراث العربي، فنفضت عنه الغبار وبعثته، ونشرت الثقافة الحديثة المحلية والغربية المترجمة، وفتح الباب أمام المفكرين والأدباء لنشر إنتاجهم. كما كانت الطباعة من أهم الأسباب في نشأة الصحافة بمختلف أشكالها وفنونها، فظهرت جريدة "الوقائع المصرية" سنة ١٢٣٨هـ الموافق سنة ١٨٢٢م باللغة العربية والفرنسية، والجريدة العسكرية سنة ١٢٤٩هـ الموافق سنة ١٨٣٣م. وقد لعبت هذه المطابع دورًا بارزًا وحاسمًا في ترقية اللغة العربية وتطويرها، وفتحت بابًا واسعًا لنشأة وازدهار وانتشار البحوث والمقالات والفنون، والمذاهب الفكرية والنقدية العلمية والفلسفية والأدبية، وتعميم المعرفة ونشر الثقافة العامة بين أفراد الشعب[١٤٢].

يتصف العصر الذي عاش فيه الإمام أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي بعصر النهضة والصحوة الإسلامية، لكن اختلف الناس في سبيل تحقيق هذه النهضة وإعادة وعي الأمة. فظهرت التيارات الفكرية المتعددة في ذلك، وإن اتفق أكثر المفكرين أن الرائد الأول لهذه النهضة هو الشيخ محمد عبده الذي تأثر بفكرة شيخه جمال الدين الأفغاني. ثم قام محمد رشيد رضا، أحد تلاميذ محمد عبده، بمواصلة عملهما، لأنه أعلاهم صوتًا من بين تلاميذ الشيخ محمد عبده، وفي تأييد فكرته، وأقواهم في الرد على أعداءه.

---

[١٤١] المصدر السابق، هاشم، *قصة وتاريخ الحضارة*، ص. ٩٧.

[١٤٢] المرجع نفسه.

وتتبلور فكرة الشيخ محمد عبده الذي قد جمع في نفسه ثقافة الماضي والحاضر في دعوته إلى إصلاح القديم عن بصيرة به، ولا يكون بتقليد أوربا، كما ينادي بالإصلاح الشامل لأمور الدين والدنيا[١٤٣].

وكان الإمام الساعاتي، أراد أن يكون له دور في مجال العلم، وهو يرى كما كتب بنفسه في الصفحة الأخيرة من كتابه "بدائع المنن"، أن سبب تقلص دين الله من بين عباده، وانحطاط المسلمين وتغلب الأمم عليهم بحكمهم وقوانينهم هو ضعف همم المسلمين في الأخذ من الكتاب والسنة وتدبرهما علمًا وعملاً في هداية الأمم ومعالجة شئونها. ولن يعود للمسلمين مجدهم إلا إن أخذوا من مصدره الأصلي -الكتاب والسنة-"[١٤٤]. فاتجه الإمام الساعاتي إلى خدمة السنة النبوية، فقام بعمل عظيم في مجال السنة النبوية، ووفى جميع عمره لخدمتها، ولا سيما في عمله ترتيب "مسند أحمد بن حنبل"، وهو عمل لم يفعله العلماء من قبله. وكذلك عمله في كتابه "بدائع المنن" الذي جمع بين كتابي "مسند الشافعي" و"السنن" للإمام الشافعي، وأعماله الأخرى.

---

[١٤٣] المصدر السابق، الصعيدي، *المجددون في الإسلام*، ص. ٣٩٦-٣٩٧.

[١٤٤] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٤٢.

المبحث الثاني

حياة الإمام الساعاتي

اسمه

هو الإمام المحدث العلامة أبو العباس وأبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن البنا الشافعي، المشهور بالساعاتي[١٤٥]. فكانت كنيته أبو العباس وأبو الحسن، ولقبه هو الساعاتي.

مولده ونشأته

ولد الإمام أحمد عبد الرحمن البنا فى قرية شمسيرة من أعمال مديرية الغربية، بمصر، وهي قرية مطلة على نهر النيل، وذلك في سنة ١٣٠٠هـ الموافق سنة ١٨٨٢م[١٤٦]، وقيل أنه ولد سنة ١٣٠١هـ. ولكن القول الأول هو الراجح، إذ يقول ابنه جمال البنا، "وهناك ما يؤيد هذه الرواية، فإن الإمام كان قد استخرج بطاقة من بطاقات إثبات الشخصية حدد فيها سنة ميلاده بأنها سنة ١٣٠٠هـ الموافق سنة ١٨٨٢م[١٤٧]. وتسميته باسم "أحمد"، بسبب أن والدتَه رأتْ قبل أن تضعه في منامها، من يقول لها: إذا وَضَعْتِ فسَمِّ ولدَكِ أحمد واحرصي على تحفيظه القرآن الكريم[١٤٨].

---

[١٤٥] الحازمي، إبراهيم بن عبد الله، د.ت، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي*، بيروت: دار الشريف للنشر والتوزيع، د.ط، ج. ١، ص. ٤٥١؛ وكحالة، محمد رضا، ١٤١٤هـ، *معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربي*، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، ج. ١، ص. ١٦٧.

[١٤٦] للصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٤ .

[١٤٧] الساعاتي، أحمد عبد الرحمن، د.ت، *الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني*، القاهرة: دار الشهاب، د.ط، ج. ٢٤، ص. ٢٣٢؛ والبنا، خطابات حسن البنا، ص. ١٤.

[١٤٨] المرعشيلي، يوسف، د.ت، *نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، وبذيله عقد الجوهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر*، بيروت: دار المعرفة، د.ط، ج. ١، ص. ١٣٦؛ والمصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ١، ص. ١٤٨.

وكان الإمام الساعاتي ثاني أبناء أبيه، وهو من أسرة الفلاحين المصريين، حيث تمتلك أسرتُه عدَّةَ فدادين من الأرض، تقوم بزراعتها ويعمل فيها أخوه الأكبر محمد، يساعد والده في زراعة هذه الأرض، وكان محمد فلاحًا ماهرًا يحسن الزراعة، بل يستصلح بعض الأراضي البور التي كانت شائعة وقتئذ[١٤٩].

وفي أول الأمر، كان أخو الإمام الساعاتي الأكبر وهو محمد يريد أن يساعده الإمام الساعاتي في عمله الزراعي، ولكن أمه أصرَّتْ على أن يذهبَ إلى الكُتَّابِ ويحفظ القرآن الكريم، كما رأت في منامها قبل ولادته، وأيده أبوه هذا الاتجاه[١٥٠].

وقد لقب أحمد عبد الرحمن بالساعاتي بسبب انشغاله بعمل إصلاح الساعات وبيعها، وقد بدأ ممارسة هذه الحرفة بعد إتمام دراسته الأولية في قريته، حيث خطرت في نفسه فكرة العمل الذي يمكن احترافه دون أن ينقطع عن العلم والمذاكرة، فاختار حرفة إصلاح وبيع الساعات، وقد تعلم الإمام الساعاتي هذه الحرفة عند دراسته للعلوم الشرعية في الإسكندرية[١٥١].

كما التصق بأحمد الساعاتي لقب البنا، ولكن هذا اللقب أكثر ما التصق بأبناءه مثل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وهو ابنه الأكبر. وجمال البنا، وهو أصغر أبناءه. وفي هذا الأمر، فقد أشار جمال البنا أن لقب البنا يرجع إلى أجداد الأسرة، ويحتمل أن يكون أحد أجداد الأسرة يحترف البناء[١٥٢].

---

[١٤٩] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٤.

[١٥٠] المرجع نفسه، ص. ١٥؛ والمصدر السابق، المرعشيلي، *نثر الجواهر*، ص. ١٣٧.

[١٥١] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٣.

[١٥٢] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٥.

طلبه العلم وتعلمه صناعة الساعات

بدأ أحمد عبد الرحمن الساعاتي طلبه العلم في قريته شمشيرة، حيث ذهب به أبوه فى سن الرابعة إلى الكُتَّاب، وحفظ فيه القرآن الكريم، وتعلم أحكام التجويد على يد الشيخ محمد أبي رفاعي، وكان كفيفًا تقيًا[١٥٣].

ولما جاءت المرحلة التالية في طلبه العلم، وهي مرحلة دراسة العلوم الشرعية بفروعها من الفقه والتفسير والحديث وغيرها، ولم تكن هذه العلوم موجودة في قريته إلا بالذهاب إلى المعاهد الدينية، وكان أقرب مدينة، قد اشتهرت بدراسة هذه العلوم هي مدينة الإسكندرية.

وعن رحلته في طلب العلم بالإسكندرية، فبيّن جمال البنا، أحد أبناء الإمام الساعاتي قصة والده، "وفى إحدى المرات كان يصلى –الإمام الساعاتي– بالمسجد والتقى بعد الصلاة بإمام المسجد الشيخ أحمد الجارم، وكان رجلًا ذا مروءة، وأرشده إلى محل كبير للساعات يملكه الحاج محمد سلطان بمدينة الإسكندرية، فأعطاه توصية له، وذلك بعد أن أخبره –الإمام الساعاتي– بقصته، وهو يريد أن يجمع بين العلم والعمل، ولم يجد طلبته لدى صانع مدينة رشيد.

فذهب الإمام الساعاتي إلى الإسكندرية، فقابل الحاج محمد سلطان وأبلغه تحيات الشيخ الجارم وتوصيته، فأكرمه وأفسح له مجال أحكام الصنعة، حتى أَتْقَنَها وبَرَع فيها، وأصبحتْ بعد ذلك حرفةٌ له وتجارة، من هنا جاءت شهرته بالساعاتي[١٥٤]. كما ذهب الإمام الساعاتي إلى جامع الشيخ إبراهيم باشا وانتظم بين طلابه حتى أتم دراسة العلوم الشرعية به[١٥٥].

---

[١٥٣] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٢.

[١٥٤] المرجع نفسه، ج. ٢٤، ص. ٢٣٣؛ والمصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٥-١٦؛ والمرعشيلي، *نثر الجواهر*، ص. ١٣٧.

[١٥٥] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٦.

وهكذا، فقد جمع الإمام الساعاتي بين طلبه العلوم الشرعية وعلم صناعة الساعات، ليَمْتَهِنَ منه مهنةً لأجل الرزق الحلال، ومثله في هذا مثل سائر العلماء الربانيين[١٥٦].

ثم عاد الإمام الساعاتي إلى قريته شمشيرة، وأصبح عالماً صانعًا، وخطب الجمعة فى مسجد قريته، مما وقرتْ به عينُ أُمِّه، كما أنه واصل في ممارسة عمله تصليح الساعات فى قرية شمشيرة ومطوبس.

وبعد فترة، انتقل الإمام الساعاتي إلى بلدة المحمودية من أعمال مديرية البحيرة، شمال مصر، سنة ١٣٢٣هـ الموافق سنة ١٩٠٣م، وذلك بعد أن تزوج بابنة تاجر اسمها أم السعد إبراهيم صقر، مواشي القرية بمحافظة البحيرة شمال مصر سنة ١٣٢٢هـ الموافق سنة ١٩٠٢م. واستقر هو وأهله بعد ذلك في بلدة المحمودية، حيث اشترى فيها بيتا صغيرًا آوى إليه هو وزوجته، كما اشترى دكانًا لممارسة حرفته في تصليحَ وبيعَ الساعات. ولم تكن هذه الحرفة لتمنع الإمام الساعاتي من مواصلة هِوَايتُه العظمى وهي الاطلاع والمذاكرة وتحصيل العلوم الإسلامية[١٥٧].

وقد يسر الله له ببركة صدقه، أن التقى بالشيخ محمد زهران، وهو من أعلام المحمودية وشيخها وفقيهها. وإن كان الشيخ محمد زهران كفيفًا، لكن لم يقعده ذلك، وهو نشيط في الجانبي العملي والعلمي، فقد أصدر الشيخ محمد زهران مجلة باسم "الاسعاد"، وكان هو نفسه الذي يقوم بإدارتها وتحرير معظم مادتها. فنشأت علاقة وثيقة بين الإمام الساعاتي الشاب وبين الشيخ محمد زهران، وكان الإمام الساعاتي يقرأ للشيخ زهران بعض الكتب، ويكتب ما يمليه عليه، وقد يدور بينهما خلال ذلك حوار مثمر وحديث مفيد[١٥٨].

---

[١٥٦] الطغمي، محي الدين، ١٤١٢هـ، *النور الأبهر في طبقات شيوخ الأزهر*، بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، ص. ٢٥.

[١٥٧] المراجع السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٢.

[١٥٨] المرجع نفسه، ص. ٢٠.

وبعد فترة قصيرة، أصْدر الإمام الساعاتي أوّلَ مطبوعاتِه وهو شرح وظيفة سيدي أحمد زروق والمسمى بـ"الفوائد اللطيفة في شرح ألفاظ الوظيفة، تأليف العارف بربه سيدي أحمد السجاعي رضي الله عنهما". ويرى إبراهيم بن عبد الله الحازمي أن الكتاب المقصود هو "تنوير الأفئدة في أدلة أذكار الوظيفة الزروقية"[١٥٩].

وقدر الله تعالى للإمام الساعاتي أيضًا أن التقى وعقَد صداقاتٍ عديدةً مع رجال وفضلاء وتجار المحمودية، أمثال: علي بك العشري وهو عمدة المحمودية، ومحمد بك القماعي والشيخ أحمد ربيع، من كبار التجار والأعيان، والشيخ عبد الرحمن موافي، من أعيان التجار أيضًا ومن المتفقهين في الدين. وقد التقى الإمام الساعاتي بالشيخ عبد الرحمن موافي الذي كان مغرمًا بتفسير القرآن، فيتناقشان في التفسير ومسائل العلم، كما استفاد الإمام الساعاتي من الشيخ أحمد ربيع الذي اِقْتَنَى مكتبةً نفيسةً، يحتاج إليها العلماء والباحثون في مختلف العلوم والفنون[١٦٠].

وهكذا، فقد تعلم واستفاد الإمام الساعاتي وقت وجوده في المحمودية من فضلاءها وعلماءها، خصوصا الشيخ محمد زهران، الذي بدأ أولاً بتلمذة، ثم انتهت إلى صداقة حميمة وأخوّة كريمة. وخلال وجوده أيضًا، فقد كوَّن الإمام الساعاتي مكتبتَه الخاصة، واطلع على كثير من المراجع في التفسير والحديث، وغيرهما. كما بدأ الإمام الساعاتي بعمل التأليف، وكان أول عمله الكبير هو جمع وترتيب "مسند الشافعي" و"السنن"، وانتهى ذلك سنة ١٣٣٧هـ[١٦١].

ثم وقع للساعاتي بعد ذلك على نسخة من كتاب "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، الذي لم يره قبله، فمنّ الله عليه بقراءته جميعه، في سنة ١٣٤٠هـ، ثم قام بترتيبه، كما رتب "مسند الشافعي"

---

[١٥٩] المصدر السابق، الحازمي، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر*، ص. ٤٤٥٢ والبنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٠.

[١٦٠] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٣.

[١٦١] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٣٩.

و"السنن" للشافعي من قبل، لأن في رأيه جدير بذلك وأولى بالعناية، لأن هذا المسند أوسع كتب أصول السنة وأجمعها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي انتهى بتسويده سنة ١٣٤٩هـ[١٦٢].

ولما كانت هجرة الإمام الساعاتي إلى الإسكندرية في طلب العلم وكذلك إقامته في المحمودية، فهجرته إلى القاهرة سنة ١٣٦٩هـ الموافق سنة ١٩٤٩م، كذلك كانت في طلب العلم، وذلك حين احتاج ولده الأكبر، وهو الإمام الشهيد حسن البنا إلى الالتحاق بدار العلوم. فاتخذ الإمام الساعاتي مكتبًا بحي الغورية قرب مسجد الفاكهاني للبحث والتأليف والترتيب، فلا يغادره إلا قليلاً. وفي هذه الأثناء اتصل الإمام بعلماء الأزهر الشريف والتقى بالمحدثين والوافدين من أقطار العالم الإسلامي، فاستفاد الإمام منهم واعتمد عليهم لكن اعتماده الأكثر على الشيخ محمد سعيد العرفي، وأيضًا عن الحافظ أحمد الصديق الغماري الذي ذكره في مقدمة المسند، وكذلك العلامة حبيب الله الشنقيطي الذي ذكره في مقدمة "منحة المعبود"[١٦٣].

شيوخه وتلاميذه

كان الإمام الساعاتي محبًا للعلم، مغرمًا بالمطالعة والمذاكرة، رغم ذلك لم تجد الباحثة الروايات التي تشير أنه تتلمذ على شيوخ مشهورين في عصره، أو أنه تتلمذ في مؤسسة تعليمية دينية مشهورة في وقته، إلا ما وجدت الباحثة خلال بحثها في ترجمة سيرته، أنه تتلمذ في صغره في كُتَّاب القرية، ثم في جامع الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندرية، وبعده كان الإمام الساعاتي يتتلمذ على الشيخ محمد زهران عند أول مجيئه إلى بلدة المحمودية، وأصبح صديقًا له بعد ذلك. وعندما انتقل إلى القاهرة، لم يُذْكر أنه تتلمذ على

---

[١٦٢] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٤.

[١٦٣] المصدر السابق، الحازمي، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر*، ص. ٤٥٢.

شيوخ، لأنه بدأ يشتغل بالتأليف، خصوصًا بكتابه "الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني" إلى أن توفى سنة ١٣٨٧هـ الموافق سنة ١٩٥٨م[١٦٤]".

ولم يشر أي كتب التراجم للإمام الساعاتي إلى أسماء شيوخه عندما درس العلوم الشرعية في جامع الشيخ إبراهيم باشا بالإسكندية، ولكن فيما يلي، ستذكر الباحثة بعض شيوخ الإمام الساعاتي، الذي ذكره هو نفسه من خلال مؤلفاته، وهم:

١. الشيخ محمد أبي رفاعي، وهو شيخ الكتاب بقريته شمسيرة، وقد حفظ الإمام الساعاتي القرآن الكريم على يده، كما تعلم منه الإمام الساعاتي أحكام التجويد، وهو أول شيخ للإمام الساعاتي[١٦٥].

٢. الشيخ محمد زهران، وهو أعلم بلدة المحمودية وفقيهها، حيث بدأ علاقة التلمذة عندما هاجر الإمام الساعاتي إلى المحمودية، ثم توثقت العلاقة، فأصبحت علاقة صداقة وأخوة، يقول الإمام الساعاتي عنه عندما بدأ في عمل ترتيب "مسند الإمام أحمد ابن حنبل": "واستشرت من لا أتهمه دينًا وأمانةً وصدقًا ونصيحةً، وعرضتُ عليه الوضع الذي عرض لي واستأنستُ به في هذا الصنع."[١٦٦].

٣. الشيخ محمد سعيد العرفي، الذي ذكره الإمام الساعاتي في مقدمة "الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل"، وهو مفتي وادي الفرات، الحسيني نسبًا، الديرزوري بلدًا، الشافعي مذهبًا. فقد تعرف الإمام الساعاتي عليه بمدينة القاهرة في أوائل سنة ١٣٤٨هـ، عندما كان تواجده بالقاهرة، بعد أن اعتقلته فرنسا حينما احتلت بلاده، فنفته إلى الشام، فمكث بها معتقلًا ستة أعوام، ثم إلى القاهرة برغبته، ومكث بها عامين كاملين من أول سنة ١٣٤٨هـ إلى أول المحرم ١٣٥٠هـ[١٦٧].

---

[١٦٤] المصدر السابق، للرعشلي، *نثر الجواهر*، ج. ١، ص. ١٣٨.

[١٦٥] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ١٥.

[١٦٦] المرجع نفسه، ص. ٣١.

[١٦٧] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٣٠-٣١.

٤. الحافظ أحمد بن محمد بن صديق الحسني المغربي، من علماء المغرب الأقصى بطنجه، ومن حملة عالمية الأزهر الشريف[١٦٨].

٥. السيد محمد كامل الهيراوي الجلي، ذكره الإمام الساعاتي في مقدمة "منحة المعبود"[١٦٩].

٦. العلامة حبيب الله الشنقيطي الذي ذكره في مقدمة "منحة المعبود"[١٧٠].

أما عن تلاميذه، فلم يُذكر أيضًا أنه كان لديه طُلَّابُ عِلْمٍ، لأن الإمام الساعاتي لم يعمل في التدريس، لا في حلقة في المساجد، ولا في المدارس، لسبب انشغاله في تأليف "الفتح الرباني".

الإمام الساعاتي والد ومربي لأهله

بمرور الزمن رزق الله الإمام الساعاتي بأبناء متواترين، كل عامين تقريبًا ابن أو بنت، أو خمسته من الأبناء وثلاث من البنات[١٧١]. وكان الإبن الأكبر للإمام الساعاتي هو الإمام الشهيد حسن البنا، الذي ولد فى ٢٥ شعبان ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٠٦م، وذلك في ضحى يوم الأحد. وبعد عامين ولد ابنه الثاني عبد الرحمن في ٢ رمضان ١٣٢٦هـ الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٠٨م، كذلك في يوم الأحد. ثم ولدت بنته فاطمة في شهر صفر ١٣٢٩هـ الموافق ٣ فبراير ١٩١١م، وتزوجت بالأستاذ عبد الحكيم عابدين[١٧٢].

ثم ولد ابنه الرابع محمد، في ٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩١٣م، وتوفى في شعبان ١٤١٠هـ الموافق شهر مارس ١٩٩٠م. ثم ولد ابنه الخامس عبد الباسط في ١٦ شوال ١٣٣٤هـ الموافق ١٦ أغسطس ١٩١٥م، وأصبح ضابطًا في الشرطة، وهو الذي رافق الشهيد حسن البنا حتى قبيل أيام

---

[١٦٨] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٣١.

[١٦٩] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ص. ١٧.

[١٧٠] المرجع نفسه.

[١٧١] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢١-٢٢.

[١٧٢] المرجع نفسه، ص. ٢١.

من حادث اغتياله، ثم استقال من خدمة الشرطة، وعمل بالسعودية، وتوفى بها، ودفن بالبقيع، بناء على وصيته[١٧٣].

ثم ولدت بنته الثانية زينت في ١٤ ربيع الثانى ١٣٣٧هـ الموافق ١٦ يناير ١٩١٩م، لكنه توفت بعد سنة وكانت وفاتها في يوم الأربعاء، ٢ ربيع الثانى ١٣٣٨هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ١٩١٩م. وولد بعد ذلك ابنه الخامس أحمد جمال الدين في يوم ٥ ربيع الثانى ١٣٣٩هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٢٠م، وأصبح مفكرًا إسلاميًا وله مؤلفات كثيرة، منها التعددية في مجتمع إسلامي، والسنة ودورها في الفقه الجديد، وحرية الفكر والاعتقاد في الإسلام، جناية قبيلة حدثنا وغيرها[١٧٤].

ثم ولدت بنته الأخيرة، فوزية فى يوم السبت ٢٢ رجب ١٣٤١هـ الموافق ١٠ مارس ١٩٢٣م، وهي متزوجة بالإستاذ عبد الكريم منصور المحامي، الذي كان مع حسن البنا ليلة الاستشهاد، وأصابه رشاش من رصاصات القتلة، وتوفى سنة ١٩٨٩م[١٧٥].

ففي مدار عشرين عامًا من حياة الإمام الساعاتي بالمحمودية، أصبح هو والدًا لقبيلة صغيرة من الأبناء والبنات، ولكنهم لم يكونوا عبئًا ثقيلًا على الإمام الساعاتي، وهو عند ذلك في الأربعين من عمره، وهو في قمة الرجولة، وقد اتسع عمله كما أضيفت إليه أعمال أخرى.

وأدرك الإمام الساعاتي الأهمية الإيجابية للاختلافات الفقهية بين أصحاب المذاهب المتعددة، وقد انعكس ذلك في تدبره لتثقيف أبنائه، وتفقههم في الدين؛ إذ جعل كل واحد منهم يدرس ويتمذهب على مذهب من المذاهب الفقهية، فكان المذهب الحنفي من نصيب (حسن)، والمالكي من نصيب (عبدالرحمن)، والحنبلي من نصيب (محمد)، والشافعي من نصيب (جمال)، وكانوا يتلقون دراستهم في

---

[١٧٣] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص ٢١.

[١٧٤] المرجع نفسه، ص. ٢٢.

[١٧٥] المرجع نفسه.

المنزل، ولم يمنعه ذلك من أن يدفع بهم إلى المدارس المدنية الحكومية، ليتلقوا تعليمهم وفقاً للمناهج الدراسية الرسمية، وكان يحثّهم على حفظ القرآن، وحفظ المتون في فروع العلوم الشرعية، ويشجعهم على قراءة الكتب واقتنائها، وعلمهم صنعة الساعات وحرفة تجليد الكتب[١٧٦].

وظائف الإمام الساعاتي

منذ أن انتقل الإمام الساعاتي وأهله إلى المحمودية، عقد علاقات عديدة مع رجالاتها وفضلائها وتجارها، أمثال علي بك العشري وهو عمدة المحمودية، ومحمد بك القماعي والشيخ أحمد ربيع، من كبار التجار والأعيان، والشيخ عبد الرحمن موافي، من أعيان التجار أيضًا ومن المتفقهين في الدين.

وبفضل هذه الصداقات، استصحب ذات يوم الشيخ عبد الرحمن موافي ومعه رجل وَقُور من كبار الموظفين، اسمه أحمد أفندي الصفتي، له نظارة على مسجد البلدة، فعرض على الإمام الساعاتي أن يكون إمامًا وخطيبًا في المسجد. لكنه رفض هذا العرض، فألحّ أحمد أفندي حرصًا على إفادة الناس من علمه، وقَبِل أخيرًا واشترط أن يعمل متطوعًا لله وللعلم، وأن يبقى إمام المسجد حيث هو بمرتبه[١٧٧].

ثم في سنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٢م، أَلحَّ عَلَى الإمام الساعاتي عمدةُ البلدة، وأهلُها وأولى الرأي فيها أن يكون الإمام الساعاتي مأذونًا ثانيًا للمحمودية، وحُرِّر خطاب تعيينه مأذونًا شرعيًا بالمحمودية في ٢٧ شعبان ١٣٣٢هـ الموافق ٢١ يوليو ١٩١٣م[١٧٨].

ثم استقر الإمام الساعاتي ببلدة المحمودية وكانت إقامته فيها رضية، قد تكيَّف معها واطمأن إليها، وكوّن عددًا من الصدقات الوثيقة التي ظلت قائمة حتى مات أصحابها، كما لم تقتصر هذه

---

[١٧٦] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٣.

[١٧٧] المرجع نفسه.

[١٧٨] المرجع نفسه، ص. ٢٦.

الصداقات على أهل المحمودية، بل إنها امتدت إلى النواحي المجاورة حتى الإسكندرية والقاهرة. وقد كان بعض هؤلاء من كبار الكُتّاب الإسلاميين مثل الأستاذ محمد فريد وجدي[١٧٩].

هجرة الإمام وأهله إلى القاهرة

عندما كَبُرَ الأبناء خاصة الأوَّلان —حسن وعبد الرحمن– بدأت فكرة النزوح إلى القاهرة تراود الإمام الساعاتي. ولاسيما بعد تعرض ابنه حسن البنا لاعتداء أحد زملاءه عليه، مما لا مجال للتردد للانتقال إلى القاهرة، خاصة بعد أن فوجع بوفاة والده سنة ١٩٢٤م. فانقطع بذلك أكبر خيط كان يربطه بالبلد، فلم ير مناصًا من الانتقال إلى القاهرة رغم أنه كان قد وطد مكانتَه في المحمودية واستقرتْ أموره بها، وعقد صداقات وثيقةً عديدةً برجالها[١٨٠].

وأخيرًا، حمل الإمام الساعاتي أسرته إلى القاهرة، واستقرت بها إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٩٥٨م. وللمرة الأولى، يشعر الإمام الساعاتي أنه أصبح في قبضة المدينة الصماء، ومجتمعها يختلف عن مجتمع المحمودية المألوف، حيث ينمو الأطفال طبيعيًا كما ينمو النبات. كما أن اللازمة المالية لا تقل عن الوحشة النفسية، حيث كبر الأبناء ودخلوا السن الحرجة التي يتعين فيها دخول المدارس، لكن رحمة الله وسعت كل شيء، ففي هذه الفترة، فترة الضيق المالي والاقتصادي تطبق على الساعاتي، عُين ابنه حسن البنا مدرسًا بالإسماعيلية بمرتب خمسة عشر جنيها، واستطاع أن يمده بمبلغ أربعة أو خمسة جنيهات منها، وبهذا خف العبء شيئًا ما[١٨١].

ولم يكن للإمام الساعاتي وقتًا كبيرًا لكسب المال، لأن ذلك سيكون على حساب عمل مشروعه الكبير، الذي قد بدأه من المحمودية، وهو مشروع "الفتح الرباني". فكانت عملية كتابة "الفتح

---

[١٧٩] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٩.

[١٨٠] المرجع نفسه، ص. ٤٢.

[١٨١] المرجع نفسه، ص. ٤٦.

الرباني" وطبعه، تستغرق معظم وقت الشيخ، وتقلل نسبيًا من ممارسته لحرفته في تصليح الساعات. كما أن الحرفة، كانت تتطلب مواصفاتٍ معينةً، لم تَعُدْ تَتوفَّر في الإمام الساعاتي كحدة البصر، والتمشى مع التطور الذى بلغته الحرفة، فضلاً عن كساد سوقها، وانتهى الأمر بأن تخلص منها[١٨٢].

صفات الإمام الخلقية والخلقية

كان الإمام البنا أقرب إلى الطول منه إلى القصر، وإلى النحافة منه إلى البدانة وإلى البياض منه إلى السمرة، وكانت يداه طويلتين وأصابعه رشيقة. نأتيء الوجنتين، مقرون الحاجبين واسع الشدقين أشم الأنف،كان يلبس الجبة والقفطان ويضع العمامة على عادة الشيوخ فى مصر، ويتكفأ في مشيته ويغض بصره، كما كانت في لحيته شعرات سوداء[١٨٣].

وكان زاهدًا ورعًا منصرفًا عن الدنيا راغبًا في الآخرة لا يخوض فيما يخوض فيه الناس، ولا يتقيد بما يعملون ويشترعون، حتى لا يقدم ساعته حسب التوقيت الصيفي حين كان يفعل الناس ذلك، ويقول "مالي والناس، إنما أتعامل مع الله جل وعلا"[١٨٤].

السنوات الأخيرة واستشهاد ابنه البكر

تعتبر السنوات الأخيرة من حياة الإمام الساعاتي سنوات هدوء ورضا واستقرار. فقد تخلص من أعباء الأبناء بعد أن كبروا وتوظفوا وتزوجوا، واستراح من الساعات وتصليحها بعد وقت طويل، كما قد

---

[١٨٢] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٤٨.

[١٨٣] المرجع نفسه، ص. ٨٠.

[١٨٤] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٥؛ والحازمي، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر*، ص. ٤٥٢.

اجتاز أزمة الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م التى أوقفته حينًا عن النشر، فواصل إصدار أجزاء "الفتح الرباني" جزءًا جزءًا، حتى يحقق أمل حياته في أن يرى الجزء الأخير مطبوعًا[١٨٥].

لكن فوجىء الإمام الساعاتي، وتطورت الأمور تطورًا مأساويًا، إذ حصلت العداوة التى احتدمت بين الإخوان المسلمين وحكومة النقراشي، ووصلت إلى قمَّتِهَا في حل الإخوان المسلمين في ديسمبر ١٩٤٨م، وأُعْتُقِلتْ الألوف من أعضاء جماعة الإخوان، وكان منهم أربعة من أبنائه الخمسة، حتى انبعث أشقاها ليغتال ابنه الشهيد حسن البنا في ظلام الليل، وذلك في يوم السبت، ١٤ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٤٩م[١٨٦].

ورغم أن مقتل ابنه، قد أصاب الأسرة بضربة مؤلمة جدًا، إلا أن الإمام الساعاتي كان رجلاً مؤمنًا، وكان إمامًا في علمه وفهمه للإسلام، ولم تكن تفيد هذه المعرفة إلا في مثل هذه الحوادث الجسام وفى مواجهة الآلام، ولا بد أن تكون الحياة أن تسير، فتلك سنة الله التي لا نجد لها تبديلًا. فاستأنف الإمام الساعاتي عمله في طبع ونشر "الفتح الرباني"، وإن لم يعد ما كان عليه قبل هذا الحادث[١٨٧].

وكانت ساعات عمله، من الصباح الباكر حتى منتصف الليل تقريبًا، كان الإمام الساعاتي يأوي إلى مكتبه فيجلس على مقعد عريض، وكانت الكتب تحيط به من كل جانب بالمجلدات والمراجع من الحديث، والتفسير، والفقه، وبقية العلوم الإسلامية، وأكثرها من مطبوعات الهند. ويضيء مكتبه بمصباح بترولي. وعلى ضوء هذا المصباح، ظل الإمام عشر سنوات يعمل في الفتح، إلى أن أدخل الكهرباء في المكتب سنة ١٩٤٩م[١٨٨].

---

[١٨٥] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٧٢.

[١٨٦] المصدر السابق، البشري، *الحركة السياسية*، ص. ٢٣٢.

[١٨٧] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٧٣.

[١٨٨] المرجع نفسه، ص. ٧٦.

ولم يكن الإمام الساعاتي ليبرح مريضه، إلا لأداء الصلاة في جامع الفكهانى على ناصية الحارة، أو في مكتبه إذا أحس بتعب. وإذا انتصف الليل أغلق مكتبه وآوى إلى مضجعه في الدور الأعلى، وأن هذه الطريقة خلصت الإمام الساعاتي من صعوبات "المواصلات"، واستثمرت له كذلك من الجهد والمال والوقت، ولم يكن يخرج طوال الثلاثين عامًا الأخيرة من حياته لنزهة أو لرؤية متحفٍ أو حديقة[١٨٩].

مرضه ووفاته

إن الحياة الروتينية للإمام الساعاتي لفترات طويلة، مع الحبسة في مكتبه المقبض ليل نهار، والوحدة الكئيبة التي يعيش فيها، وعدم عنايته الخاصة بالغذاء، وما تعرض له من شدائد ومِحَن ثم النكبة المدلهمة باغتيال ابنه المأمول، فهذا كله أثر في حالة الإمام الصحية، وإن لم يكن يشكو شيئًا بحاله. وكان مما يمسك الإمام على قيد الحياة ويعطيه القوة هو فضل الله تعالى في إطالة عمره عمله في اتمام "الفتح الرباني". والذي استطاع أن يغالب به عوامل، كان يمكن أن تجعل غيرُه يتهاوى قبل الوقت الذى أسلم فيه الروح، وحتى الأيام الأخيرة من عمره، لم يتوقف عن العمل وكان قد وصل إلى منتصف الجزء الثاني والعشرين وهو عن التاريخ.

ولما أحس بهجوم المرض، حاول أن يعرف الإمام أحد أبنائه جمال البنا بأسرار عمله، وقال له الشيخ: "إن الجزء الثاني والعشرين عن التاريخ، وإن شرحه لن يحتاج إلى فنية وأستاذية كبيرة"، ونصح له بالرجوع إلى البداية والنهاية لابن كثير لأن تاريخه يعتمد على الحديث، كما يتضمن التخريج[١٩٠].

ويصف أحد أبناء الإمام الساعاتي، عبد الرحمن البنا، عن أيامه الثلاثة الأخيرة، عندما رأى أن ينقله من مكتبه إلى منزله ليكون تحت الرعاية، صبيحة الاثنين، ٦ جمادى الأولى ١٣٧٨هـ بعربة ركبها، ومعه الأصول الباقية من الفتح الربانى بخط يده وبعض مراجع الحديث التى كان يعمل فيها في الجزء الثانى

---

[١٨٩] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٧٧-٧٨.

[١٩٠] المرجع نفسه، ص. ٨١؛ والمصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٥.

والعشرين. ثم جلس في حجرة النوم وأشار بأن نصف المراجع في الشباك القريب من الحجرة ومعها الأصول، وجعل يشير إليها ويتحدث عما أنجزه حتى تلك اللحظة. وطيلة يوم الاثنين وهو يحدث أبنائه حديث الواثق المؤمن وعرض لنشأته وصباه وبلدته. وفي يوم الثلاثاء انشغل بربه وانصرف عنا وكان يطلب الوضوء وينظر في ساعته إذا حضر وقت الصلاة فيؤديها حيث استطاع .

وقبل ظهر يوم الأربعاء من جمادى الأولى ١٣٨٧هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٥٨م، لقى ربه راضيًا مرضيًا، عن سبع وسبعين سنة وبضعة شهور. وشيعت جنازته وتبعها أهل الفضل والعلم وجماهير غفيرة إلى مسجد الرفاعي بالقلعة، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ سيد سابق. ودفن بقرب الإمام الشافعي رضي الله عنه بجوار ابنه الإمام الشهيد حسن البنا رحمهما الله [١٩١] .

آثار الإمام الساعاتي العلمية [١٩٢]

للإمام الساعاتي مؤلفات تركها للأمة، بفضل جهده وصبره، وكلها في مجال خدمة السنّة النبوية. وأشهر أعماله هو "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"، وشرحه "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، في ٢٤ جزءًا. وقد قضى معظم حياته لخدمة هذا الكتاب منذ أن تعارف عليه سنة ١٣٤٠هـ إلى أن توفى سنة ١٣٨٧هـ. وباقي أعماله كان قد عملها عندما توقف في طبع "الفتح الرباني"، وعندما ارتفع سعر الورق بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م. كما يقول الإمام الساعاتي نفسه: "ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فعز وجود الورق وارتفع سعره جدًا، ثم امتنع وجوده بالكلية، فاضطررْتُ إلى إرجاء الطبع حتى يأتي الله بالفرج، وفي مدة الحرب، اشتغلت بتأليف كتاب "إتحاف أهل السنة البررة بزبدة أحاديث الأصول العشرة"، وكتاب "تهذيب جامع مسانيد الإمام أبي حنيفة"، وكتاب "هداية المقتفى ترتيب مختصر الحصكفي"، مع التعليق على هذه الكتب، ثم اشتغلت بترتيب مسند الإمام

---

[١٩١] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٣٧؛ والمرعشلي، *نثر الجواهر*، ج. ١، ص. ١٣٨.

[١٩٢] المصدر السابق، الحازمي، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر*، ص. ٤٥٣؛ والمرعشلي، *نثر الجواهر*، ج. ١، ص. ١٣٨.

أبي داود الطياليسي"[١٩٣]. وفيما يلي بعض البيان عن مؤلفات الإمام الساعاتي، مرتبة على ترتيب سنة تأليفها:

١. **"تنوير الأفئدة الزكية في أدلة أذكار الوظيفة الزروقية"**، وهو أول مطبوعاته وكان شرحًا لوظيفة سيدي أحمد زروق والمسمى بـ"الفوائد اللطيفة في شرح ألفاظ الوظيفة"، تأليف العارف بربه سيدي أحمد السجاعي رضي الله عنهما[١٩٤]. وطبع الكتاب على نفقة الإمام الساعاتي في إحدى مطابع دمنهور، سنة ١٣٣٠هـ الموافق سنة ١٩١٣م.

٢. **"بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"، وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن"**، في جزئين. ويعتبر هذا الكتاب ثاني من أعمال الإمام الساعاتي، حيث فرغ من جمع وترتيب "مسند الشافعي" و"السنن" سنة ١٣٣٧هـ. لكن تأخر في طبعه، بسبب وقوع نظر الإمام الساعاتي على كتاب "مسند الإمام أحمد" سنة ١٣٤٠هـ، وبدأ بعد ذلك يشتغل في عمل كتابه "الفتح الرباني"، إلى أن توفى سنة ١٣٨٧هـ[١٩٥].

وعن طبع كتاب "بدائع المنن"، فهناك قصة، قصها الإمام الساعاتي نفسه في آخر كتابه، أنه عندما انتهت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م، وبعد توقف طبع "الفتح الرباني"، شرع الإمام الساعاتي في شرح "بدائع المنن"، المسمى بـ"القول الحسن شرح بدائع المنن"، إلى أن وصل فيه إلى نهاية كتاب الحج. لكن عزم بعد ذلك على تقديم طبع كتاب "منحة المعبود"، وأكد عزمه بشراء الورق اللازم له، كما أرسل بعض أصوله إلى المطبعة، ولم يبق إلا الشروع في طبعه. ولكن بقدر الله الذي يحول بين المرء وقلبه، أن تحول العزم الأكيد فجأة أن تردد بين طبعه –أي "منحة المعبود"– أولًا أو طبع "بدائع المنن" مع شرحه

---

[١٩٣] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٤١.

[١٩٤] المصدر السابق، الحازمي، *موسوعة أعلام القرن الرابع عشر*، ص. ٤٥٢؛ والبنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٢٠.

[١٩٥] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٣٩.

"القول الحسن". فاستخار الله تعالى أن يختار له ما في تقديمه الخير، فانشرح صدره لتقديم طبع "بدائع المنن" مع شرحه "القول الحسن"، فاشتغل بتصحيحه وإتمام شرحه، وتم طبعه الأول في آخر شهر ربيع الأول ١٣٧٠هـ الموافق سنة ١٩٥٠م، وطبع ذلك في مكتبة دار الأنوار للطباعة والنشر بمدينة القاهرة[١٩٦]. ثم طبع الطبعة الثانية، وهي مصورة من الطبعة الأولى بمكتبة الفرقان سنة ١٤٠٣هـ بمدينة القاهرة.

٣. **"الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"، وشرحه "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"**، في ٢٤ جزءًا، وبهذا الكتاب اشتهر اسم الإمام الساعاتي بين العلماء في عصره وإلى اليوم، وكان عمله يستحق التقدير والتكريم، إذ عجز أن يقوم به أئمة الأمة منذ أن وضع الإمام أحمد مسنده في القرن الثالث الهجري حتى القرن الثالث عشر بل الخامس عشر. وقد حاول الإمام ابن كثير هذه المهمة دون توفيق، وقال: "ما زلت أنظر فيه والسراج ينونص حتى كفّ بصري معه"، وكيف يُتصور أن يكون بمثل الإمام الساعاتي أن يقوم بهذه المهمة، مهمة الترتيب، الذي عجز عنه الأئمة، ولا سيما أن الإمام الساعاتي قرر أن يضيف إلى هذا الترتيب شرحًا مسهبًا لكل حديث، واستخلاص الأحكام وغيره، فتضاعف العمل حجمًا وازداد صعوبةً وفنيةً[١٩٧].

لقد وصف الإمام الساعاتي المسند بأنه منذ أن أُلف إلى اليوم درة في صدفها وحسناء في خدرها، وكنزا محبوسًا لا يصل إلى جواهر مكنوناته إلا الحفاظ الأثبات من رجال الحديث[١٩٨].

كما رأى الإمام الساعاتي أن ترتيب المسند على مسانيد الصحابة مفيد في القديم، وكان غرض أصحابها تدوين الحديث ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم، وكان الناس إذ ذاك لهم اعتناء شديد بحفظ

---

[١٩٦] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٤١-٤٤٢.

[١٩٧] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٣٢.

[١٩٨] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ١٢.

الأحاديث، ويعلمون موضع الحديث من الكتاب ومواقع الأحاديث المتشابهة. أما الآن في رأي الإمام الساعاتي، قد صار اعتماد الناس على الضبط الكتابي، فقد وقف ذلك حائلا دون الانتفاع بكتاب عظيم وأصل كبير كالمسند.

بدأ الإمام الساعاتي معرفة وقراءة كتاب "مسند الإمام أحمد بن حنبل" للمرة الأولى سنة ١٣٤٠هـ، حتى انتهى تسويده يوم الإثنين، ٢٩ ربيع الأول ١٣٤٩هـ. وكان المسودة الأولى من الكتاب دون تفصيل في الأبواب، أو دون بيان للأسانيد والزوائد ونحوه، ثم ترك العمل فيه مدة وجيزة لصعوبة العمل، ورأى أن بمثل هذه المسودة تفيده مبدئيًا في الاستدلال على الأحاديث[١٩٩].

لكن بينما تصفح الإمام الساعاتي الجزء الأخير من المسودة وهو غارق في بحار الأسف والغم الشديد، إذ وقع نظره على آخر حديث في المسودة في باب رؤية الله عزوجل يوم القيامة فقرأ الإمام الحديث بإمعان وتأمل وإذا نصه: "عن صهيب بن سنان رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، نُوْدُوا يا أهل الجنة أن لكم موعدًا عند الله لم تروه فقالوا وما هو، ألم تبيض وجوهنا وتُزَحْزِحْنَا عن النار وتُدْخِلَنَا الجنة، قال فيُكْشَف الحجاب فينظرون إليه فو الله ما أعطاهم اله شيئا أحب إليهم منه"، وفى رواية: "من النظر إليه"، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"[٢٠٠].

فلما وقع نظر الإمام الساعاتي عليه، فرح فرحًا شديدًا، وعادت له نفسه، وألزمها بإتمامه، فنشط له. فابتدأ الإمام قراءة المسند للمرة الثانية لأجل وضع الرموز على الزوائد، ثم قرأه للمرة الثالثة في التبييض، وفي هذه المرة، أحكم الإمام وضع الأبواب وترتيب الأحاديث بإتقان. وعن مدى تأثير الحديث السابق عليه، فقال الساعاتي: "وكنت كلما اعتراني ملل، أنظر إلى حديث الرؤية فانشط للعمل". وهكذا فعل

---

[١٩٩] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ١٢.

[٢٠٠] المرجع نفسه، ص. ٢٣.

الإمام الساعاتي حتى انتهى من تبييضه في نهاية سنة ١٣٥١هـ[٢٠١]. ثم قرأ الإمام الساعاتي للمرة الرابعة للمسند، وفي هذه المرة، وضع له الإمام التعليق عليه وذكر الأسانيد، وأما قراءته للمرة الخامسة فهي عند عمل التصحيح أثناء طبع الكتاب[٢٠٢].

وفيما يتعلق في طبع الكتاب، قرر الإمام الساعاتي أن يعتمد على نفسه في الطبع، كما اعتمد عليها في التأليف، وهذا مما يدل على علو همته وصدق عزيمته. فاشترى الإمام الساعاتي كميةً من حروف الطباعة المشكَّلة (أي بالشكل من فتحة وضمة الخ)، مما تكفى لطبع ملزمتين (أي ١٦ صفحة من القطع الذى ظهر به الكتاب)، واستأجر الإمام الساعاتي لها مكانًا بجواره، واستخدم عاملًا ماهرًا أمينًا يقوم بجمع الملزمة فيصححها الشيخ، ثم ترسل لتطبع في مطبعة قريبة، بعد أن يشترى الإمام بنفسه الورق اللازم لها[٢٠٣].

وبدأ الإمام الساعاتي بطباعة الكتاب جزءًا جزءًا مع ضيق الحال والمال، وكان الشروع في طبع الجزء الأول سنة ١٣٥٣هـ الموافق سنة ١٩٣٤م، وانتهى طبع الجزء الثالث عشر سنة ١٩٥٩هـ الموافق سنة ١٩٤٠م.

وعندما حدثت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٢م، وبسببها ارتفعت أسعار الورق، فاضطر الإمام الساعاتي إلى تعليق حجم الجزء ١١، ١٢ و١٣، كما اضطر إلى إعادة كتابة شرح الجزء ١٥، ١٦، ١٧ مختصرًا بعدما ما كتب مطولًا، وواصل طبع الكتاب إلى أن وصل في نصف الجزء الثاني والعشرين، وهو عن التاريخ، ثم توفى الإمام الساعاتي، وذلك سنة ١٣٧٨هـ الموافق سنة ١٩٥٨م[٢٠٤].

---

[٢٠١] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٢٤.

[٢٠٢] المرجع نفسه، ص. ٢٣.

[٢٠٣] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٥٢.

[٢٠٤] المرجع نفسه، ص. ٣٦.

وبعد أن توفى الإمام الساعاتي رحمه الله، قام أبناؤه بمواصلة الطبع وكتابة الشرح، لكن الأسرة لم تأمن نفسها، واستعانت على ذلك أحد العلماء أو شيوخ الأزهر، فرفض واعتذر. حتى أن أهتدى إلى الشيخ محمد عبد الوهاب البحيري، أستاذ الحديث بالأزهر، وهو ممن يقدّرون الإمام الساعاتي تقديرًا خاصًا، وقبل القيام بشرح وتخريج أحاديث النصف الثاني من الجزء ٢٢ مُتَطَوِّعًا، ثم اعتذر عن القيام بالباقي لِانْتِدابه للمغرب، ثم كوَّنت أسرة الإمام الساعاتي لجنةً صغيرةً من بعض الْمَعنيِّين، إلى أن تم العمل وصدر الكتاب في ٢٤ جزءًا[٢٠٥]. وقد نص في آخر صفحة الجزء ٢٤، أنه تم طبع هذا الجزء الأخير في يوم الإثنين، ٢٦ رمضان ١٣٩٦هـ[٢٠٦].

وقد استغرقت هذه الموسوعة الحديثية بين ترتيبها، وشرحها، وطبعها أكثر من ثلاثين عامًا، قام بها الإمام أحمد عبد الرحمن الساعاتي وأبنائه. وقد طبع الكتاب في بيروت، دون علم من أسرة الإمام الساعاتي، بطريقة الأوفسيت[٢٠٧]. ثم استطاع الأستاذ سيف الإسلام، ابن الإمام الشهيد حسن البنا أن يطبع الكتاب مرتين.

ووجدت الباحثة كتاب **"الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني"** وشرحه **"بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"**، مطبوعة في دار الشهاب، القاهرة، دون وجود إشارة إلى سنة الطباعة. كما أنه مطبوع من قبل دار إحياء التراث العربي، بيروت، ولم توجد سنة طباعته أيضًا.

وفي سنة ٢٠٠٤هـ، طبع شرح "الفتح الرباني" وهو "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني" مستقلًا، وقد اعتنى به حسن عبد المنان، حيث طبع بمكتبة بيت الأفكار الدولية، في أربع مجلدات ضخمة.

---

[٢٠٥] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٨١-٨٢.

[٢٠٦] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ٢٤، ص. ٢٤٧.

[٢٠٧] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٨٢.

٤. **"منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود" وشرحه "التعليق المحمود"**.وطبع الكتاب على نفقة الإمام نفسه، كغيره من مصنفات الإمام، وهو مطبوع الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ، ثم طبع الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ، بمطبعة المكتبة الإسلامية، بيروت[٢٠٨]. وهو يحتوى على ٢٨٤٢ حديثًا: في الجزء الأول ١٨٧٩ حديثًا، وفي الجزء الثاني ٩٦٣ حديثًا. وتم طبع الجزء الثاني من الكتاب، كما نصه المؤلف في يوم الخميس، ١٥ المحرم ١٣٧٣هـ[٢٠٩].

واعتذر الإمام الساعاتي عن بعض تقصيره في خدمة كتاب "مسند الإمام أبي داود الطيالسي" مثل ما نصه في آخر صفحة الجزء الأول، وذلك بسبب شغله في اختصار شرح كتابه "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" المسمى بـ"بلوغ الأماني"، وشغله في طبعهما وتصحيحما. وقد جعل الإمام اهتمامه الأكبر لهذين الكتابين، حتى أنه لم يجعل "التعليق المحمود"، شرح "منحة المعبود" شرحًا وافيًا بشرح ألفاظه وتخريج أحاديثه. وقال الإمام الساعاتي: "على أني قد قمت بترتيبه وتنقيحه وتصحيحه والتعليق عليه بقدر الامكان في هذا الوقت العصيب". ولكن الإمام الساعاتي أشار بعد ذلك إلى أنّ من احتاج إلى شرح حديث أو بيان درجته، فليرجع إلى الباب نفسه من كتابه "الفتح الرباني"، وسيجد فيه مطلوبه[٢١٠].

٥. **"تهذيب جامع مسانيد الإمام أبي حنيفة" وشرحه "بغية المريد"**. وكان عمل الإمام الساعاتي لهذا الكتاب، عندما توقّف في عمل وطبع مشروعه الأعظم "الفتح الرباني"، وذلك عندما اندلعت الحرب

---

[٢٠٨] الطبعة الثانية للكتاب، حصلت الباحثة عليها من مكتبة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، تحت رقم ب في ١٣٥.أ ١٣.ت٣٩,١٩٧٩، ج.١-٢ (١٣٥.A١٣.T٣٩,١٩٧٩.j.١-٢ BP).

[٢٠٩] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ج. ٢، ص. ٢٤٤.

[٢١٠] المرجع نفسه.

العالمية الثانية ١٩٤٢م، لكن لم يطبع عمله هذا، إلى أن توفى الساعاتي، كما هو مكتوب في آخر صفحة كتابه "بدائع المنن"، وهو في أربعة أجزاء[٢١١].

٦. **"هداية المكتفي إلى ترتيب مختصر الحصكفي"**. وهذا الكتاب أيضًا، كتبه الإمام الساعاتي عندما توقف في عملٍ وطبع مشروعه الأعظم "الفتح الرباني"، ولم يطبع عمله هذا، إلى أن توفى، كما هو مكتوب في آخر صفحة كتابه "بدائع المنن"، وهو في جزئين[٢١٢].

٧. **"إتحاف أهل السنة البررة بزبدة أحاديث الأصول العشرة"**. وهذا الكتاب أيضًا، كتبه الإمام الساعاتي حينما توقف في عمل وطبع مشروعه الأعظم "الفتح الرباني"، ولم يطبع عمله هذا إلى أن توفي، كما هو مكتوب في آخر صفحة كتابه "بدائع المنن"، وهو في جزئين[٢١٣].

---

[٢١١] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٥٠.

[٢١٢] المرجع نفسه.

[٢١٣] المرجع نفسه.

المبحث الثالث

مساهمات الإمام الساعاتي في مجال الحديث النبوي

كان الإمام الساعاتي عظيم الهمّة، يقظاً، ملتزماً أعلى درجات الدقة والصرامة، وإتقان العمل، وواعيا بما حدث من أحوال المسلمين. وقد ترك الإمام الساعاتي للأمة الإسلامية عدة مصنفات، وكلها في مجال خدمة السنة النبوية، وذلك بالنظر إلى مصنفاته التي كانت كلها في مجال السنة النبوية[٢١٤].

وكان أول عمله في مجال السنة النبوية، هو تحقيق وتخريج كتاب "تنوير الأفئدة الزكية في أدلة أذكار الزروقية". وكان عمل الإمام الساعاتي على هذا الكتاب هو تحقيق النص المنسوخ من كتاب "الوظيفة الزروقية"، للعلامة العارف بربه سيدي أحمد السجاعي رضي الله عنهما. وكان في النسخة المخطوطة من كتاب "الوظيفة" شيء من التحريف، فعرضها الإمام الساعاتي على الشيخ محمد زهران، فساعده على تصحيحها[٢١٥].

ورأى الإمام الساعاتي أن سبب انحطاط المسلمين وتغلب الأمم عليهم بحكمهم وقوانينهم، ولن يعود للمسلمين مجدهم إلا إن عادوا إلى دينهم الحق، ونشروا ثقافته الصالحة، ولا يكون لهم ذلك إلا إن يأخذوه من مصدره الأصلي الكتاب والسنة، كما كان السلف رضوان الله عليهم يفعلون[٢١٦].

وعلى هذه الرؤية، حاول الإمام الساعاتي أن يقدم للمسلمين ما يُعِيدُ لهم مجدَهم، وذلك بتقديم أعماله في مجال السنة النبوية، على منهج ما يناسب الناس في هذا العصر. وأن ضعف همم الناس عن الأخذ بالكتاب والسنة وتدبرهما علمًا وعملًا في هداية الأمم ومعالجة شؤونها سببًا من تقلص دين الله من

---

[٢١٤] وقد ذكر الإمام الساعاتي نفسه هذه المصنفات في الصفحة الأخيرة من كتابه "بدائع المنن" سواء كان في طبعته الأولى والثانية، وكذلك في كتابه "منحة المعبود"، حيث يبين الشيخ ما طبع من مصنفاته وما لم يطبع منها؛ المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، الطبعة الثانية، ج.١، ص. ٤١٢، و ج.٢، ص. ٤٥٠؛ والساعاتي، *منحة المعبود*، الطبعة الثانية، ج.٢، ص. ٢٥٦.

[٢١٥] المصدر السابق، البنا، خطابات حسن البنا، ص. ٢٠-٢١.

[٢١٦] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٤٢.

بين عباده. كما أن هجْرَ الناس الفقه، وانقطع العمل به، بسبب كثرة كلام الفقهاء وكثرة المجلدات الضخمة التي لا نهاية لها في كل مذهب، والتي تحتاج إلى أعمار طويلة لمعرفة مصطلحها وغامض شروحها ومتونها[٢١٧]. وعلى هذا السبب أيضًا، حاول الإمام الساعاتي أن يقدم للأمة منهجًا جديدًا في معرفة دينهم، الذي يُعرف فيما بعدُ بـ"فقه السنة"، فهو كتاب فقه، وأصول، وحديث رواية ودراية، مما يستغني عنه طالب فقه مستقل، أو مقلد على أي مذهب كان، فيعرف الطالب حكم شيء بدليله، ويغنى عن كتب الفقه الضخمة، وذلك بجمع الأحاديث من أمهات السنة وأصولها، كما جدد الإمام الساعاتي بترتيب هذه الأحاديث على كتب وأبواب ما يسهل الطالب الرجوع إليها عند الحاجة.

ويتضح هذا المنهج الجديد للإمام الساعاتي في دراسة السنة النبوية في كل أعماله ومصنفاته، مثل كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن، مُذَيْلاً بالقول الحسن شرح بدائع المنن"، أو كتاب "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، أو كتاب "منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، مذيلًا بالتعليق المحمود على منحة المعبود"، وغيرها.

وإذا دققنا النظر في مصنفات الإمام الساعاتي، يمكن اعتبار أغلبها من أصول المذاهب الفقهية: المذهب الحنفي، والشافعي، والحنبلي، فكأنما أراد الإمام الساعاتي بمصنفاته أن تكون مراجع لطالب الحكم بدليله، دون أن يتقيد بالمذاهب الفقهية، لكن بالأدلة الفقهية، كما كان السلف رضوان الله عليهم يفعلون.

---

[٢١٧] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٤٢.

المطلب الأول

عمل الإمام الساعاتي في كتاب "بدائع المنن"

ففي كتاب "بدائع المنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن"، يقول الإمام الساعاتي عن كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"، واعتبرهما من أصول المذهب الشهير الشافعي، حيث حوى الكتابان الأحاديث التي أسندت روايتها، مرفوعها وموقوفها إلى حبر الأمة، ومصباح السنة، وأعجوبة الدنيا في وقته، حفظًا ودرايةً، وعلمًا وذكاءً، عالم قريش الإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس[٢١٨].

وتفاصيل البيان عن هذا الكتاب "بدائع المنن" وشرحه "القول الحسن"، ستقدمه الباحثة في الفصل القادم، عند الكلام عن التعريف بكتاب "مسند الشافعي"، و"السنن"، و"بدائع المنن".

---

[٢١٨] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ١، ص. ٢-٣.

المطلب الثاني

عمل الإمام الساعاتي في كتاب "الفتح الرباني"

وصف الإمام الساعاتي كتاب "مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" بأنه أجمع كتب السنة للحديث وأصحها بعد الصحيحين، وأوعاها لكل ما يحتاج إليه المسلم في زاده ومعاده بغيرمين، فهو كتاب لا تزال بركته شاملة يقدره من يعرف قدر السنة النبوية الفاضلة[٢١٩]. وقال أيضًا عندما بدأ الإمام في قراءته: "فوجدته بحرًا خِضَمًّا يزخر بالعلم ويموج بالفوائد، بَيْد أنه لا فُرْضَةً له ولا سبيل إلى اصطياد فرائده واقتناص شوارده"[٢٢٠].

وعلى هذه الأهمية للمسند وصعب الاستفادة منه بسبب طريقة جمع هذه الأحاديث على طريقة المسانيد، فهو يذكر الصحابي ثم يورد كلِ ما رواه عنِ الرسول صلىِ الله عليه وسلم منِ الأحاديث بدون نظر إلى ترتيبها أو موضوعاتها، ثم يتبع بصحابي آخر، وهكذا.

وقد أورد الإمام الساعاتي نفسه مثالًا على صعب الاستفادة وهو ما روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن عبد الله بن شداد عن أبيه، قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر، وهو حامل حسن أو حسين، فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال (أي الراوي) فرفعتُ رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجعتُ في سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد

---

[٢١٩] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٩.

[٢٢٠] المرجع نفسه، ص. ١٢.

حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهْتُ أن أعجله حتى يقضي حاجتِه"[٢٢١].

فإذا أردنا أن هذا الحديث من المسند ونجهل اسم راويه من الصحابة، فماذا نعمل؟ لا مناص إلا أمرين: قراءة الكتاب أي المسند جميعه، وهذا بعيد جدًا، وإما أن نتركه، فتضيع الفائدة، وإذا نحفظ ونعلم اسم الراوي، فلا بد لنا من تصفح فهرس الأجزاء للكتاب، ولو تحملنا هذا، ووجدنا اسم الراوي فلا بد لنا قراءة المسند أو أحاديث هذا الرواي من أوله حتى نجد الحديث، وربما لا نجده إلا في آخره، وهذا عناء شديد، ولا سيما إذا كان الراوي من ذوي المسانيد الطويلة كمسند أبي هريرة وعائشة وابن عباس. ولهذا السبب صُرِفَ المتأخرون عن المسند وحُرِموا من الانتفاع بخبايا مكنوناته إلى غيره من الكتب الأخرى المرتبة على الكتب والأبواب[٢٢٢].

ورأى الإمام الساعاتي أن ترتيب المسند على مسانيد الصحابة مفيدًا في القديم، وكان غرض أصحابها من تدوين الحديثِ ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم، وكانِ الناس آنذاك لهم اعتناء شديد بحفظ الأحاديث، ويعلمون موضع الحديث من الكتاب ومواقع الأحاديث المتشابهة لذلك. أما الآن في رأي الإمام الساعاتي، قد صار اعتماد الناس على الضبط الكتابي، فقد وقف ذلك حائلًا دون الانتفاعِ بكتاب عظيم وأصل كبير كالمسند.

وهذا من إحدى دوافع الإمام الساعاتي لخدمة هذا المسند لتكون فوائده أعم، ورأى أن المسند منذ أُلف إلى اليوم درة في صدفها وحسناء في خدرها وكنزٌ محبوسٌ لا يصل إلى جواهر مكنوناته إلا الحفاظ الأثبات من رجال الحديث[٢٢٣].

---

[٢٢١] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ١٠.

[٢٢٢] المرجع نفسه، ج. ١، ص. ١٠-١١.

[٢٢٣] المرجع نفسه، ص. ١٢.

قيمة عمل الإمام الساعاتي في "الفتح الرباني"

عن أهمية تصنيف المسند، وقيمة عمل الإمام الساعاتي، ستورد الباحثة مثالًا لها، حيث دارت مساجلة على صفحات العدد الثاني من المجلد ٣١ من مجلة المنار في باب المراسلة والمناظرة بين محمد رشيد رضا، لا صاحب المنار، والشيخ أحمد محمد شاكر حول حديث عن عبد الله بن مسعود في الإعلان عن المنافقين، وهل هو في المسند أم لا؟. ذهب صاحب المنار نقلًا عن "فتح البيان" إلى أن الحديث موجود في المسند، بينما نفي الشيخ شاكر أن يكون موجودًا في أحاديث عبد الله بن مسعود في المسند، وطرفا المساجلة كما هو معروف من أعلام الإسلام، السيد رضا رحمه الله هو "راويه" الشيخ محمد عبده وصاحب المنار، وصاحب التفسير والمؤلفات العديدة. والشيخ شاكر أحد الذين عنوا بتحقيق "مسند الإمام أحمد بن حنبل" وخدمته خدمة دقيقة، فمن ذا يستطيع أن يتصدّى للحكم بينهما؟ كتب الإمام الساعاتي في ١٧ صفر ١٣٥٠هـ إلى السيد رشيد رضا بالفصل في الموضوع، فالحديث في المسند فعلًا، ولكنه ليس من أحاديث عبد الله بن مسعود، ولكن من أحاديث "أبي مسعود"[٢٢٤].

وجاء خطاب الساعاتي، وعلى هذا فيكون ما نقلتموه عن فتح البيان من عزو الحديث إلى المسند صحيحًا، والصواب إلى جانبكم من هذه الناحية، وإن وقع التحريف في نقل الرواية من "أبي مسعود" إلى "ابن مسعود"، ويكون ما نقله فضيلة الشيخ أحمد شاكر من عدم وجود الحديث في مسند ابن مسعود صحيحًا أيضًا، والصواب إلى جانبه من هذه الناحية، وإن وجد الحديث في مسند أحمد من رواية أبي مسعود الأنصاري"[٢٢٥].

كما أشار جمال البنا إلى بعض الخطابات التي تناولها الإمام الساعاتي من بعض كبار العلماء في عصره، التي تدل على قيمة عمل الإمام الساعاتي في ترتيب مسند أحمد بن حنبل، مثل الخطاب من

---

[٢٢٤] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٣٧.

[٢٢٥] المرجع نفسه، ص. ٣٨.

يوسف الدجوى، وهو من هيئة كبار العلماء، وصاحب المؤلفات العديدة، ومن الشيخ محمد زهران، وهو الشيخ الأول للساعاتي يستفسر عن بعض الأحاديث في مسند أحمد. مما يدل على قيمة عمل الإمام الساعاتي في ترتيب المسند، وبعض إضافته الذي هو شرحه واستخلاص الأحكام من كل حديث فيه[٢٢٦].

واستغرق عمل الإمام الساعاتي في ترتيب أحاديث "مسند أحمد بن حنبل" ثلاثين سنة من عمره، حيث بدأ عمله كما نص هو نفسه في المقصد السابع من مقدمة كتابه "الفتح الرباني"، أنه ابتدأ العمل في ترتيب المسند سنة ١٣٤٠هـ، فقرأه للمرة الأولى حتى انتهى تسويده في يوم الإثنين، ٢٩ ربيع الأول ١٣٩٤هـ[٢٢٧].

وكان تلك المسودة الأولى من الكتاب دون تفصيل في الأبواب أو بيان للأسانيد والزوائد ونحوه، ولصعوبة العمل في توضيح ذلك وتبينه، ترك الإمام العمل فيه مدة وجيزة، واكتفى أن المسودة تفيده مبدئيًا في الاستدلال على الأحاديث.

لكن عندما تصفح الإمام الساعاتي الجزء الأخير من المسودة وهو غارق في بحار الأسف والغم الشديد، إذ وقع نظره على آخر حديث في المسودة في باب رؤية الله عزوجل يوم القيامة فقرأ الإمام الحديث بإمعان وتأمل وهو عن رؤية أهل الجنة ربه، سبق بيان وذكر الحديث عند البيان عن مؤلفات الإمام الساعاتي أو يمكن الرجوع إلى "الفتح الرباني"[٢٢٨].

فلما وقع نظر الإمام الساعاتي عليه، فرح فرحًا شديدًا، وعادت له نفسه، وألزمها بإتمامه، فنشط له. فابتدأ الإمام قراءة المسند للمرة الثانية لأجل وضع الرموز على الزوائد، ثم قرأه للمرة الثالثة للتبيض،

---

[٢٢٦] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٣٨-٤١.

[٢٢٧] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٢٢.

[٢٢٨] المرجع نفسه، ص. ٢٣.

وفي هذه المرة، أحكم الإمام وضع الأبواب وترتيب الأحاديث بإتقان. وعن مدى تأثير الحديث السابق على الإمام، فقال: "وكنت كلما اعتراني ملل، أنظر إلى حديث الرؤية فانشط للعمل". وهكذا فعل الإمام حتى انتهى من تبيضه في نهاية سنة ١٣٥١هـ[٢٢٩].

ثم قرأ الإمام الساعاتي المسند للمرة الرابعة، وفي هذه المرة، وضع له الإمام التعليق عليه وذكر الأسانيد، وأما قراءته للمرة الخامسة فهي عند عمل التصحيح أثناء طبع الكتاب[٢٣٠].

منهجه في ترتيب الكتاب وتقسيمه إلى سبعة أقسام

وعن هذا العمل، يقول الإمام في مقدمة كتابه: "اعلم أرشدنى الله وإياك إلى ما فيه الخير والصلاح إن الله تبارك وتعالى اختار لهذا الكتاب تقسيمًا عجيبًا ما كان يخطرلى على بال، وكنت قسمته قبل ذلك مرات متعددة لم تطمئن نفسى لواحدة منها، فسألت الله تعالى أن يختار لى ما فيه الخير فألهمنى جل شأنه هذا التقسيم العجيب الذى لا أعلم أحدًا سبقنى إليه (وذاك فضل الله يؤتيه من يشاء)، فانشرح له صدرى واطمأن له قلبي"[٢٣١].

قسّم الإمام الساعاتي كتابه "الفتح الرباني" على سبعة أقسام، ويكون هذا التقسيم باعتبار الفنون، وإن كان بعضها أطول من بعض، مقدمًا الأهم فالمهم مبتدئًا بقسم التوحيد وأصول الدين لأنه أول ما يجب على المكلف معرفته، ثم الفقه، ثم التفسير، ثم الترغيب، ثم الترهيب، ثم التاريخ، ثم القيامة وأحوال الآخرة.

---

[٢٢٩] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٢٤.

[٢٣٠] المرجع نفسه.

[٢٣١] المرجع نفسه.

وكل قسمٍ من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، وكل كتاب يندرج تحته جملة أبوابٍ. وبعض الأبواب يدخل فيها جملة فصولٍ، وفي أكثر تراجم الأبواب ما يدل على مغزى أحاديث الباب تسهيلًا للمُراجع، وتقريبًا للمَراجع[٢٣٢].

ويكون هذا التقسيم في كتاب "الفتح الرباني" سمة للإمام الساعاتي في عمله الترتيب لبعض أعماله الأخرى، غير كتاب "بدائع المنن"، لأن هذا الكتاب كتبه الإمام الساعاتي قبل تعرفه على "مسند أحمد بن حنبل" وعمل ترتيب أحاديثه في سنة ١٣٣٧هـ[٢٣٣]. يقول الإمام الساعاتي في ترتيب كتاب "منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود": "وذلك بأن أعقل شوارد أحاديثه بالكتب والأبواب، وأقيد كل حديث منه بما يليق به من باب وكتاب، كما فعلت في ترتيب "مسند الإمام أحمد رحمه الله"[٢٣٤].

طبع الإمام الساعاتي كتابه "الفتح الرباني"

وبدأ الإمام الساعاتي بطباعة الكتاب جزءًا جزءًا مع ضيق الحال والمال، وكان الشروع في طبع الجزء الأول سنة ١٣٥٣هـ الموافق سنة ١٩٣٤م، وانتهى طبع الجزء الثالث عشر سنة ١٩٥٩هـ الموافق سنة ١٩٤٠م[٢٣٥].

ثم توقف الطبع للكتاب بسبب الضائقة المالية التي كان الإمام يعانيها، حتى أن رزقه الله تأييد اثنين من رجالات "الحجاز"، أعجبا بعمل الإمام اعجابًا عظيمًا. وكان هذان الرجلان هما السيد محمد نصيف، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، رحمهما الله[٢٣٦].

---

[٢٣٢] لتفاصيل ما يحتويه كل قسم من كتب، وكل كتاب من أبواب، انظر المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٢٥– ٣٠.

[٢٣٣] المصدر السابق، الساعاتي، *بدائع المنن*، ج. ٢، ص. ٤٣٩.

[٢٣٤] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ج. ١، ص. ٣٦٤.

[٢٣٥] المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٥٢.

وقد دارت بينهما وبين الإمام الساعاتي المراسلة مما تدل على دعمهما في طبع كتاب "الفتح الرباني". وقد وُجد خطاب في ٧ رمضان ١٣٥٥هـ، الذي بيَّن عن حوالة على بنكِ مصر بمبلغ خمسة جنيهات مصرية، ليقيدها الإمام من قيمة كتاب "الفتح الرباني"، كما أعرب السيد محمد نصيف في خطابه عن حبه على الغيب للشيخ الإمام الساعاتي وعمله في خدمة السنة النبوية[٢٣٧].

وقد وُجد عدد كبير من الخطابات سنة ١٣٥٦هـ لمتابعة تطور اشتراك العلماء في كتاب "الفتح الرباني" ولأن السيد نصيف كان يواصل الدعوة للكتاب وللاشتراك فيه، ويفيد الإمام أولًا بأول بالمشتركين الجدد، وإرسال قيمة اشتراكهم[٢٣٨].

وأما الرجل الثاني فهو فضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح[٢٣٩]: وهو عالم سلفي من أصل مصري، استوطن مكة وتولى إمامة الحرم المكي وأسس بها دار الحديث.

وباستقراء الخطابات التي كتبها "الصاحبان" أي الشيخان، يوضح لنا كيف كان إحساسهما العميق بالواجب دفعهما للقيام بهذه المحاولات التي وصلت إلى درجة الإلحاح والمتابعة مع الملك ابن عبد العزيز نفسه، ثم مع البيروقراطية التي تنتهي إليها الأمور، بأن يعجل اشتراك الملك في كتاب "الفتح الرباني" إلى أن يتم طبع جميع أجزائه، كما يكشف عن الظروف الاقتصادية القاسية التي كانت يمر بها العالم.

---

[٢٣٦] وعن دورهما في طبع كتاب الإمام الساعاتي، والمراسلة التي دارت بينهم، انظر المصدر السابق، البنا، *خطابات حسن البنا*، ص. ٥٣-٦٧.

[٢٣٧] المرجع نفسه، ص. ٥٥.

[٢٣٨] المرجع نفسه، ص. ٥٨.

[٢٣٩] عبد الظاهر (أو محمد عبد الظاهر) ابن محمد، نور الدين التليني، أبو السمح، خطيب الحرم المكيّ وإمامه، من وعاظ الفقهاء الأزهريين. ولد سنة ١٣٠٠هـ الموافق سنة ١٨٨٢م، ببلدة التلين في الشرقية بمصر، تفقه في الأزهر، وقام بإمامة مسجد "أبي هاشم" برمل الإسكندرية. واستقدمه الملك عبد العزيز ابن سعود إلى مكة وولاه الخطابة والإمامة بالحرم المكيّ وإدارة دار الحديث بين سنة ١٣٤٥-١٣٧٠هـ، وتوفي بمستشفى في جيزة القاهرة سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م. له رسائل مطبوعة ليست على اتسال علمه، منها "حياة القلوب بدعاء علام الغيوب" و"الأولياء والكرامات" و"الرسالة الملكية"؛ المصدر السابق، الزركلي، *الأعلام*، ج. ٤، ص. ١١.

سند الإمام الساعاتي إلى مسند "الإمام أحمد بن حنبل"

وقد نص الإمام الساعاتي في كتابه "الفتح الرباني"، أن له في المسند أسانيد كثيرة متصلة بالإمام أحمد رحمه الله تعالى عن عدة مشايخ. وستذكر الباحثة إحدى هذه الروايات، وأما باقي الروايات يمكن الرجوع إلى كتابه "الفتح الرباني"[٢٤٠].

وهذا السند نصه الإمام الساعاتي: "عن أخي في الله تعالى العالم العلامة شيخ العلماء ومفتي وادي الفرات المحدث الشريف السيد محمد سعيد بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد العرفي الحسيني نسبًا، الديرزوري بلدًا، الشافعي مذهبًا، قراءة مني عليه لبعضه، وسماعًا لبعضه، وأجازة في الباقي بمدينة القاهرة سنة ١٣٤٩هـ"، قال: "أخبرني به محدث الديار الشامية السيد محمد بدر الدين الحسني، عن السيد أبي الخير الخطيب، عن أستاذ الأساتذة صاحب الثبت المشهور الشيخ عبد الرحمن الكزبري، عن والده الشيخ محمد الكزبري، عن الشيخ أحمد بن محمد الحنبلي البعلي، عن الشيخ محمد حفيد أبي المواهب الحنبلي، عن جده أبي المواهب، عن والده الشيخ أحمد عبد الباقي، عن عمر القاري، عن البدر محمد الغزي، عن القاضي زكريا، عن عبد الرحيم بن محمد الحنفي، عن أبي العباس أحمد الجوخي، عن أم محمد زينب بنت مكي، عن أبي على حنبل الرصافي، عن أبي القاسم هبة الله الشيباني، عن أبي على الحسن التميمي، عن أبي بكر أحمد القطيعي، عن عبد الله بن الإمام أحمد، عن والجه أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمهم الله تعالى"[٢٤١].

---

[٢٤٠] المصدر السابق، الساعاتي، *الفتح الرباني*، ج. ١، ص. ٣٠– ٣٢.

[٢٤١] المرجع نفسه، ص. ٣١.

المطلب الثالث

عمل الإمام الساعاتي في كتاب "منحة المعبود"

اشتاقت نفس الإمام الساعاتي للقراءة والاطلاع على كتاب "مسند الطيالسي"، ولكن لم يتيسر له الحصول على الكتاب لندرة وجوده فلم يطبع إلا مرة واحدة بالهند سنة ١٣٢١هـ، فطلبه الإمام الساعاتي من مكتبات مصر ولم يجده، ثم احضره من الهند نسخة. وبعد قرائته للكتاب، اعجبه أسلوبُ المسند وعلوّ سنده، وهو مما دعاه إلى أن يقوم في خدمته بعد ذلك، ويُعتبر الكتاب أول ما جمع الأحاديث النبوية على طريق المسند[٢٤٢].

ووجد الإمام أن النسخة المطبوعة المستحضرة، فيها شيء من النقص، وإن كان القائمون بتصحيح الكتاب قد بذلوا جهودهم في خدمته، ونبهوا على وجود النقص في آخر الكتاب، بسبب أن الأصول التي اعتمدوها كانت محشوة بالأغلاط والتحريف.

وبيَّن الإمام الساعاتي بنفسه في مقدمة كتابه "منحة المعبود"، أن عمله في "مسند الإمام أبي داود الطيالسي" ينحصر على:

أ. إصلاح الأخطاء الكثيرة التي وقعت في الكتاب المطبوع، كما نبه المصحح في آخر الكتاب، ويقول الإمام الساعاتي في هذا: "فشرعتُ في قراءة الكتاب من أوله، وتتبعت أحاديثه حديثًا حديثًا، وأصلحتُ ما فيه جميعها بالقلم، فكنت أتمم النقص اليسير بين السطور، والنقص الكثير بهامش الكتاب، هذا غير التحريف الذي يكون بالكلمات"[٢٤٣].

ب. إثبات كل ما جاء في أوائل أجزاء الأصل من فهرس الجزء، وأسماء رواته.

---

[٢٤٢] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ج. ١، ص. ٣.

[٢٤٣] المرجع نفسه، ص. ١٥-١٦.

ت. إشارة فيما تقدم إلى أنه سقط في أصول الكتاب المخطوط ثمانية مسانيد لثمانية من الصحابة، وذلك لأجل تمام الفائدة والانتفاع بمسانيد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وعدم خلوّ الكتاب من بركتهم، ناقلًا ذلك من "مسند الإمام أحمد"، مع معرفة ذلك عن طريق سند الحديث، حيث يبتدء سنده بقوله "حدثنا عبد الله، حدثني أبي". فكل حديث يبتدء سنده بهذه العبارة يعلم أنه من "مسند الإمام أحمد".

ث. وأعظم عمل وخدمته للكتاب هو ترتيب الكتاب ترتيبًا يقرب منه البعيد، ويجعله سهل التناول لكل طالب ومريد، كما يقول الإمام في هذا: "وذلك بأن أعقل شوارد أحاديثه بالكتب والأبواب، وأقيد كل حديث منه بما يليق به من باب وكتاب"، كما فعل في ترتيب "مسند الإمام أحمد رحمه الله"[٢٤٤]. وقسّم الإمام أبواب الكتاب إلى سبعة أقسام، مبتدئًا بقسم التوحيد وأصول الدين، لأنه أول ما يجب علي المكلف معرفته، ثم قسم الفقه، ثم التفسير، ثم الترغيب، ثم الترهيب، ثم التاريخ، ثم علامات الساعة والفتن والقيامة وأحوال الآخرة. وكل قسم من هذه الأقسام السبعة يشتمل على جملة كتب، ويندرج تحته جملة أبواب. كما كتب الإمام الساعاتي في تراجم الأبواب ما يدل على مغزى أحاديث الأبواب[٢٤٥].

فسمى الإمام الساعاتي عمله في ترتيب "مسند الإمام أبي داود الطيالسي"، وتعليقه عليه "منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود، مذيلًا بالتعليق المحمود على منحة المعبود".

---

[٢٤٤] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ج. ١، ص. ٣٦٤.

[٢٤٥] المرجع نفسه، ص. ١٦-١٧.

وطبع الكتاب على نفقة الإمام الساعاتي نفسه كغيره من مصنفاته، وهو مطبوع للطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ، ثم طبع للطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ، بمطبعة المكتبة الإسلامية، بيروت[٢٤٦]. وهو يحتوى على ٢٨٤٢ حديثًا: في الجزء الأول ١٨٧٩ حديثًا، وفي الجزء الثاني ٩٦٣ حديثًا. وتم طبع الجزء الثاني من الكتاب، كما نصه المؤلف هو في يوم الخميس، ١٥ المحرم ١٣٧٣هـ[٢٤٧].

سند الإمام الساعاتي بـ"مسند الإمام أبي دواد الطيالسي"

وأما سند الإمام الساعاتي المتصل بمؤلف الأصل وهو الإمام سليمان أبي داود الطيالسي، كما ذكره في مقدمة كتابه "منحة المعبود"، حيث قال: "هذا ولي في رواية المسند سند متصل برواية الإمام سليمان أبي داواد الطيالسي رحمه الله تعالى، أجازني بروايته شيخنا الأستاذ العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله الشنقيطي إقليمًا، وهو يرويه من طريقين; أما الطريق الأول: عن العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير، عن مفتى المالكية بمكة المشرفة الشيخ محمد عابد بن حسين المكي المالكي رحمه الله، عن جماعة مشايخه، منهم والده الشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري، ثم المكي، عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي، عن العلامة الشيخ محمد الأمير الكبير. وأما الطريق الثاني: عن السيد محمد كامل الهيراوي الجلي، عن الشيخ إبراهيم السقا، عن الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير –صاحب الثبت المشهور–، عن شيخه الحفني، عن شيخه البديري، عن الملا إبراهيم، عن العارف القشاش بإجازته، عن الشمس محمد الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ بن حجر العسقلاني، عن الصلاح بن أبي عمر، عن الفخر ابن البخاري، عن القاضي أبي المكارم أحمد ابن محمد اللبان وأبي حفص محمد

---

[٢٤٦] الطبعة الثانية للكتاب، حصلت الباحثة عليها من مكتبة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، تحت رقم ب في ١٣٥.أ ١٣.ت٣٩,١٩٧٩، ج. ١-٢ (٢-١.j.٣٩,١٩٧٩.T١٣.A١٣٥ BP).

[٢٤٧] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ج. ٢، ص. ٢٤٤.

بن أحمد فارس الأصفهاني، حدثنا يونس بن حبيب العجلي، حدثنا أبو داود الطيالسي رحمهم الله جميعا ونفعنا بهم"[٢٤٨].

وأما المصنفات الثلاثة الأخرى للإمام الساعاتي، لم تطبع حتى اليوم، وذلك في حدود علم الباحثة، وهو أيضًا مدوّن في الصفحة الأخيرة من مطبوعات الإمام الساعاتي. وهذه المصنفات الثلاثة: "تهذيب جامع مسانيد أبي حنيفة مع شرحه بغية المريد شرح جامع المسانيد"، في أربعة أجزاء، وكتاب "هداية المقتفي إلى ترتيب مختصر الحصكفي"، في جزئين، وكتاب "إتحاف أهل السنة البررة بزبادة أحاديث الأصول العشرة"، في جزئين.

[٢٤٨] المصدر السابق، الساعاتي، *منحة المعبود*، ص. ١٧.

الفصل الثاني

التعريف بكتابي "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" و"القول الحسن شرح بدائع المنن"

قام الإمام الساعاتي بجمع أحاديث "مسند الشافعي" و"السنن" في كتاب واحد، سماه "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن"، كما قام بشرح أحاديثه في كتابه سماه "القول الحسن شرح بدائع المنن"، وهو في هامش كتابه "بدائع المنن". وإن كان كتاب "مسند الشافعي" قد اشتهر بين العلماء من أول ظهوره، فمنهم من قام بشرح وتخريج وترتيب أحاديثه، إلا أن كتاب "السنن"، حظه لم يكن مثل حظ المسند. فرأى الإمام الساعاتي أن جمع كتابين في كتاب واحد، سيكون ذلك زيادة للفائدة وتعميمًا للنفع بهما، ولاسيما أن أحاديث كتابين مَرْوِيَّتَيْن من حبر الأمة ومصباح السنة عالم قريش المجتهد محمد بن إدريس الشافعي، وتُعْتبر أحاديثه أصول لمذهبه المذهب الشافعي.

ففي هذا الفصل، سيأتي البيان عن كتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن". ويتقدمه البيان عنه، بيان عن كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"، وترجمة صاحبهما الإمام محمد إدريس الشافعي. فينقسم هذا الفصل إلى مبحثين: الأول منهما التعريف بكتابي "مسند الشافعي" و"السنن"، وهو منقسم إلى ثلاثة مطالب: الأول عن ترجمة الإمام الشافعي، والثاني عن التعريف بكتاب "مسند الشافعي"، والثالث عن التعريف بكتاب "السنن". ثم يأتي المبحث الثاني عن التعريف بكتابي "بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وشرحه "القول الحسن شرح بدائع المنن"، وينقسم إلى مطلبين: الأول عن التعريف بكتاب "بدائع المنن في جمع وترتيب المسند الشافعي والسنن"، والثاني عن التعريف بكتاب "القول الحسن شرح بدائع المنن".

المبحث الأول

التعريف بكتابي "مسند الشافعي" و"سنن الشافعي"

لاحظ الإمام الساعاتي عندما وقف لدراسة كتابي "مسند الشافعي" و"السنن"، أن في الكتابين أمورًا تحتاج إلى خدمة وعناية. ومن ملاحظاته أن الكتابين غير مرتبين ترتيبًا مألوفًا لأهل هذا العصر، فقام بترتيبهما ترتيبًا على أبواب الفقه يقرب المراد منهما للطالب في أسرع وقت[١]. كما يرى أن كثيرًا من أحاديث المسند غير موجودة في "السنن"، والعكس، فقام بجمعهما تكثيرًا للفائدة وتعميمًا للنفع بهما[٢]. مع ماكان لهذين الكتابين من منزلة كبيرة، خصوصًا عند الشافعيين.

فكان عمل الإمام الساعاتي في الجمع بين هذين الكتابين عمل جديد، لم يعمل به قبله أحد، لكن عناية العلماء بهذين الكتابين ليست جديدة، فقد اعتنى كثيرٌ من العلماء بهما، خصوصًا بكتاب "مسند الشافعي"، سواءً في شرحه أو في ترتيبه، أو في تخريج أحاديثه. سيأتي في هذا الفصل الكلام عن كتاب "مسند الشافعي" و"السنن"، بهدف معرفة ما قد قام به العلماء الآخرون بهذين الكتابين، بالإضافة إلى دراسة صاحب الكتابين وهو الإمام الشافعي. فسيبدأ الكلام في هذا المبحث عن شخصية الإمام الشافعي، قبل الكلام عن الكتابين: "مسند الشافعي" و"سنن الشافعي".

---

[١] المصدر السابق، الساعاتي، **بدائع المنن**، ج. ١، ص. ٥.

[٢] المرجع نفسه.

المطلب الأول

التعريف بشخصية الإمام الشافعي

اسمه ونسبه ولقبه

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣].

قال النووي رحمه الله[٤]: "الشافعي رضي الله عنه قرشي مطلبي بإجماع أهل النقل من جميع الطوائف، وأمه أزدية[٥].

ويلقب رحمه الله بناصر الحديث، وذلك لما اشتهر عنه من نصرته للحديث وحرصه على اتباعه[٦].

ولادته

---

[٣] أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى مهران الأصبهاني، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، القاهرة: مكتبة السعادة، د.ط، ج. ٩، ص. ٦٧؛ والبغدادي، الخطيب، ٢٠٠١م، *تاريخ بغداد*، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب، د.ط، ج. ٢، ص. ٥٧؛ والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ١٩٨٦م، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: جماعة بإشراف شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ج. ١٠، ص. ٥؛ والعسقلاني، ابن حجر، ١٤٠٦هـ، *توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس*، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص. ٢٤.

[٤] هو يحيى بن شرف، النووي الدمشقي، الشافعي، محيي الدين، أبو زكرياء، ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة هـ في قرية نوى جنوب سورية، وتوفي فيها سنة ست وسبعين وستمائة هـ، من آثاره: "شرح المهذب" "شرح صحيح مسلم" "رياض الصالحين" "الأذكار" وغيرها. المصدر السابق، كحالة، *معجم المؤلفين*، ج ١٣، ص ٢٠٢٠، والزركلي، *الأعلام*، ج ٨، ص ١٤٨، ابن العماد، *شذرات الذهب*، ج ٥، ص. ٣٥٤.

[٥] النووي، أبو زكريا محي الدين، *تهذيب الأسماء واللغات*، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ج. ١، ص. ٤٤.

[٦] البيهقي، أحمد بن الحسين، ١٣٩١هـ، *مناقب الشافعي*، تحقيق: أحمد صقر، القاهرة: مكتبة التراث، الطبعة الأولى، ج. ١، ص. ٤٧٢؛ والعسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٤٠.

ولد الشافعي سنة (١٥٠ هـ)[٧]، في السنة التي توفي فيها إمام العراق الإمام أبو حنيفة النعمان[٨]، في مدينة غزة بفلسطين[٩]. وقيل: إنه ولد باليمن، وهو خطأ كما صرح به الذهبي[١٠].

قال الإمام الشافعي: "ولدتُ بغزة سنة خمسين ومائة، وحُملت إلى مكة وأنا ابن سنتين"[١١].

وقال أيضًا: "كان أبي من تبالة -موضع ببلاد اليمن-، وكان بالمدينة، فظهر بها بعض ما يكرهه، فخرج إلى عسقلان، فأقام بها، ووُلِدْتُ بها، ثم مات أبي، فقدم عمّي من مكة إلى عسقلان، وحملني إلى مكة وأنا ابن سنتين"[١٢].

ولا تناقض بين هذه الروايات، لأن عسقلان هي الأصل في قديم الزمان، وهي وغزة متقاربتان، فعسقلان هي المدينة، وغزة هي القرية، فحيث قال الشافعي: "غزة" أراد بها القرية، وحيث قال: "عسقلان" أراد بها المدينة[١٣].

وعن هذه الاختلاف قال ابن حجر: "فالذي يجمع الأقوال أنه وُلد بغزة عسقلان، ولما بلغ سنتين نقلته أمه مع عمه إلى مكة"[١٤]. وقال ابن باطيش: "الذي دل عليه مجمع الروايات، أنه ولد بغزة، ثم حملها منها إلى عسقلان، ثم إلى مكة، فنشأ بها"[١٥].

---

[٧] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، ١٤١٩هـ، *صفة الصفوة*، بيروت: دارالفكر، الطبعة الثالثة، ج. ١، ص. ٤٨٢.

[٨] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ١٩٦٦م، *البداية والنهاية*، بيروت: مكتبة المعارف، والرياض: مكتبة النصر، د.ط، ج. ١٠، ص. ٨٧.

[٩] المصدر السابق، ابن الجوزي، *صفة الصفوة*، ج. ١، ص.٤٨٢.

[١٠] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، د.ت، *تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام*، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ص. ٣٠٨.

[١١] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٠.

[١٢] المرجع نفسه، ص. ٥٠-٥١.

[١٣] المرجع نفسه، ص. ٥١.

[١٤] المرجع نفسه، ص. ٥٢.

وأما قول أنه ولد باليمن، فمؤول على أنه أراد باليمن قبائلها، وهم أهل أمه لأنها أزدية[١٦].

نشأته

كان والد الإمام الشافعي فقيرًا، خرج من مكة يلتمس سعة العيش في المدينة، ولكنه لم يجد ما يطمح إليه فخرج منها بأهله قاصدًا الشام إلى غزة آملًا أن يجد ضالته بها، وإذا به يتركهم إلى غير عودة، إذ قدر الله عز وجل أن يموت فيها بعد مولد ولده "محمد" بسنتين، فنشأ الإمام الشافعي يتيمًا لا يملك من حطام الدنيا شيئًا[١٧].

كما تقدم، فقد ولد الإمام الشافعي بغزة، ولكنه نشأ من طفولته بمكة، وروى ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن الشافعي، قال: "ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحُملتُ إلى مكة وأنا ابن سنتين"[١٨].

وهناك رواية أخرى أخرجها ابن أبي حاتم الرازي، عن الشافعي يقول: "ولدتُ باليمن، فخافت أمي علي الضَّيعة"، وقالت: "الحِقْ بأهلك، فتكون مثلهم، فإني أخاف أن تُغلب على نسبك، جهزتني إلى مكة، فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيها بذلك"[١٩].

وفي هذا اختلاف في سن الإمام الشافعي عندما أتت به أمه إلى مكة، يقول ابن حجر: "فالذي يجمع الأقوال أنه ولد بغزة عسقلان، ولما بلغ سنتين حولته أمه إلى الحجاز، ودخلت به إلى قومها –وهم

---

[١٥] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٤٩.

[١٦] الدقر، عبد الغني، ١٤١٧هـ، *الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر*، دمشق: دار القلم، الطبعة السادسة، ص. ٤٥.

[١٧] المصدر السابق، البغدادي، *تاريخ بغداد*، ج. ٢، ص. ٦٤.

[١٨] ابن عماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق: دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ج. ٢، ص. ٩.

[١٩] الرازي، محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، ١٤٢٤هـ، *آداب الشافعي ومناقبه*، تحقيق وتعليق: عبد الغني عبد الخالق، بيروت: دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ص. ٢١.

من أهل اليمن لأنها أزدية- فنزلت عندهم، فلما بلغ عشرًا، خافت على نسبه الشريف أن ينسى ويضيع، فحولته إلى مكة"[٢٠].

لكن هناك روايات أخرى تؤكد على أن أمها جاءت بالإمام الشافعي إلى مكة وهو في سنتين من عمره، وذلك روى عن حفظه القرآن الكريم وهو ابن سبع، وحفظه للموطأ وهو ابن عشر[٢١].

ثم نشأ الإمام الشافعي بمكة، وهي مهوى أفئدة المسلمين في أنحاء الأرض، ومهبِط الوحي، ومنبِت الإسلام. وأشرف ماكان في مكة المسجد الحرام، وفي وسطه الكعبة المشرفة. وعلى هذا كله فتح الإمام الشافعي بصره وبصيرته، وبدأ يتفاعل مع هذه البيئة، وأرادت أمه أن تأخذ به إلى معلم، يعلمه القراءة والكتابة على عادة الناس، ولكن لم يكن مع أمه ما تؤديه للمعلم أجرًا، ويقول الإمام الشافعي في ذلك: "كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن لها مال، وكان المعلم يرضى من أمي أن أخلفه إذا قام، فلما جمعت القرآن ودخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، فأحفظ الحديث أو المسألة، وكانت دارنا في شِعْب الخَيف، فكنت أكتب في العظم، فإذا كثر طرحته في جرة عظيمة"[٢٢].

وقال الشافعي: "كنتُ أنا في الكُتَّاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها"[٢٣]. واستمر على ذلك، حتى جمع القرآن وهو ابن سبع سنين"[٢٤].

---

[٢٠] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٤٩.

[٢١] المصدر السابق، البغدادي، *تاريخ بغداد*، ج. ٢، ص. ٦٣؛ والذهبي، *تاريخ الإسلام*، ص. ٣٠٨؛ والعسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٤.

[٢٢] المصدر السابق، الرازي، *آداب الشافعي*، ص. ٢٤؛ والعسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٤؛ وابن الجوزي، *صفة الصفوة*، ج. ٢، ص. ١٤١.

[٢٣] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٥.

[٢٤] المصدر السابق، ابن عماد، *شذرات الذهب*، ج. ٢، ص. ٩؛ والبغدادي، *تاريخ بغداد*، ج. ٢، ص. ٦٣؛ والذهبي، *تاريخ الإسلام*، ص. ٣٠٨.

ثم تعلم الإمام الشافعي بمكة على من كان فيها من الفقهاء والمحدثين، وهو يكتب منهم ما يملأ جرارًا من العظام وكرب النخل، وظهور أوراق الدواوين قبل أن يبلغ الحلم، وحفظ في هذه المرحلة الموطأ للإمام مالك قبل أن يذهب إليه، وهو ابن عشر. قال الإمام الشافعي: "طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد، كنت أجالس الناس وأتحفظ، ثم اشتهيت أن أدوِّن، وكان لنا منزل بقرب شعب الخَيْف، وكنت آخذ العظام والأكتاف، فأكتبها فيها، حتى امتلأ في دارنا، من ذلك حُبَّان"[٢٥]. وروى المزني عن الشافعي قوله، "حفظت القرآن وأنا ابن سبع، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر"[٢٦].

وفي هذه الفترة المبكرة، أحس الإمام الشافعي أن لغة قريش قد دخلها شيء من التغيير، نتيجة لدخول الموالي والأعاجم في الحياة العامة للناس. فآثر أن يأخذ اللغة من منابعها الأصلية فخرج إلى هذيل وهم في حينها أفصح العرب[٢٧]. وقال الإمام الشافعي: "فلزمتُ هذيلًا بالبادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة، وكانت أفصح العرب"[٢٨].

وعن شيوخ الشافعي في مكة، أنه كتب حديث ابن عيينة محدث الحرم المكي، وأخذ الفقه عن مفتي مكة مسلم بن خالد الزنجي، وكما روى عن سعيد بن سالم القداح، وداود بن عبد الرحمن العطار وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد الأزدي[٢٩].

وفي هذه الفترة، بدأ الإمام الشافعي يقرئ الناس في المسجد الحرام حين رأى مسلم ابن خالد الخنجي أنه كملت أهليته لذلك، قال حرملة: "رأيت الشافعي يقرئ الناس في المسجد الحرام، وهو ابن

---

[٢٥] المصدر السابق، الرازي، *آداب الشافعي*، ص. ٢١.

[٢٦] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٠.

[٢٧] أبو زهرة، محمد، ١٩٧٨م، *الشافعي حياته وعصره وآراءه وفقهه*، القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ص. ١٨.

[٢٨] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٥.

[٢٩] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ٦٠.

ثلاث عشرة سنة"، وقيل أنه ابن خمس عشرة سنة[٣٠]. وقد روى عبد الله بن الزبير قال: "سمعت مسلم بن خالد الزنجي، ومر على الشافعي، وهو يفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة"، فقال: "يا أبا عبد الله، أفت فقد آن لك أن تفتي"[٣١].

رحلاته في طلب العلم

تعرف الشافعي معظم ما في مكة من علم، حيث أخذ عن الزنجي، شيخ الحرم ومفتي مكة، وغيره، وروى عن سفيان بن عيينة عَلَم مكة، وغيره. وقد وصل الإمام الشافعي بمكة منزلة الإفتاء، أي أُذن له بالفتوى في هذا السن المبكرة، ولكن همته في طلب العلم لا تقف به عند حد، ولا سيما أن عمره مازال في فترة طلب العلم وتحصيله. ووصل إليه خبر إمام المدينة مالك رضي الله عنه، وكان آنذاك إمام الدنيا بحديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليه مرجع الرياسة بالفقه والذي جمعه من مشايخه رحمهم الله الزهري، ونافع، وهشام بن عروة، وعبد الرحمن بن القاسم، ويحيى بن سعيد، عبد الله بن دينار، وغيرهم. فسمت همة الإمام الشافعي إلى الهجرة إلى يثرب في طلب العلم[٣٢]. يقول النووي: "فما أخذ الشافعي رحمه الله في الفقه، وحصّل منه على مسلم بن خالد الزنجي وغيره من أئمة مكة ما حصّل، رحل إلى المدينة، قاصدًا الأخذ عن أبي عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه"[٣٣].

---

[٣٠] عبد الهادي المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، د.ت، *مناقب الأئمة الأربعة*، تحقيق: سليمان مسلم الحرش، بيروت: دار المؤيد، د.ط، ص. ١٠٦؛ والمزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، ١٤٠٠هـ، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ج. ٢٤، ص. ٣٦٨.

[٣١] المرجع نفسه، ج. ٢٤، ص. ٣٦٨.

[٣٢] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ٧٢.

[٣٣] المصدر السابق، النووي، *تهذيب الأسماء*، ج. ١، ص. ٤٧.

وكانت رحلة الإمام الشافعي إلى المدينة قصة طريفة معروفة، وقد قصها الشافعي نفسه، فيما روى عنه، قال فيها: "أتيت مالك بن أنس وأنا ابن ثلاث عشرة"[٣٤]. وقال: "حفظت الموطأ، ثم دخلتُ على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك، فأتيت مالكًا، فدفع والي المدينة له الكتاب، فلما قرأه رمى به، وقال: "يا سبحان الله، وصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالرسائل". فتقدمتُ إليه وقلت: "أصلحك الله إن من قصتي كذا"، فنظر إليّ ساعة، وكان له فراسة، فقال: "ما اسمك؟"، قلت: "محمد"، قال: "يا محمد اتق الله فسيكون لك شأن". فقلت: "نعم وكرامة"[٣٥].

وقال الإمام الشافعي في قصة قراءته الموطأ: "قَدِمتُ على مالك، وقد حفظْتُ الموطأ ظاهرًا"، فقلت: "إني أريد أن أسمع الموطأ منك"، فقال: "اطلب من يقرأ لك"، قلت: "لا عليك، أن تسمع قراءتي، فإن سَهُلَ عليك، قرأت لنفسي". قال: "اطلب من يقرأ لك"، فكرَّرت عليه"، فقال: "اقرأ"، فلما سمع قراءتي، قال: "اقرأ"، فقرأت عليه حتى فرغت منه"[٣٦].

ويقول الشافعي: "ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس"[٣٧]، أي سنة ١٧٩هـ، وقد كان عمر الشافعي تسعًا وعشرين سنة[٣٨]، ومعنى هذا أنه أقام بها بضع عشرة سنة، ولم يكن الإمام الشافعي عند إقامته بها يأخذ عن الإمام مالك الموطأ فقط، بل أخذ كل ما عند الإمام مالك من حديث، وفقه، واجتهاد، كما أخذ عنه ما بناه عليه من عمل أهل المدينة. كما أن الإمام الشافعي لم يدع شيخًا من

---

[٣٤] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٥.

[٣٥] المرجع نفسه، ص. ٥٦.

[٣٦] المصدر السابق، الرازي، *آداب الشافعي*، ص. ٢٢.

[٣٧] ياقوت الحموي، شهادب الدين أبو عبد الله، ١٤١٤هـ/١٩٩٣، *معجم الأدباء*، بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ط، ج. ٦، ص. ٢٣٩٦.

[٣٨] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ٨٠.

مشايخ المدينة إلا أخذ عنه، وجمع علمه. ويروي الزبير بن بكار: "فما ترك عند مالك بن أنس من العلم إلا الأقل، ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه"[٣٩].

وبعد أن جمع ماكان في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم، ذهب الإمام الشافعي إلى اليمن، وقد روى الحميدي عن الشافعي قصة ذهابه إلى اليمن: فقال: "قدم والٍ على اليمن، فكلمه بعض القرشيين في أن أُصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني ما أتجمل به، فرَهَنت دارًا، فتحمَّلت معه، فلما قدمنا علَمت له على عمل، فحُمِدت فيه، فزادني"[٤٠]. وتشير هذه الرواية أن الإمام الشافعي قد عمل، وهو في أحد الخدم الديوانية باليمن، ولعل هذه الخدم الديوانية كانت متعلقة بالقضاء الذي هو موضِع فهمه واختصاصه، وقد بذل فيه جهدًا حُمد فيه، وشهرةٌ بين الناس، مما زاد له الوالي في عمله، كما تشير الرواية السابقة، "فلما قدمنا، عملت له على عمل، فحمدت فيه فزادني". وبهذا اشتهر الشافعي حتى جاوزت شهرته اليمن إلى مكة.[٤١]

ووُلي الإمام الشافعي بعد ذلك بنجران، يقول النووي: "ثم وُلِّي باليمن، واشتهر من حسن سيرته، وحملِه الناس على السنة، والطرائق الجميلة أشياء كثيرة معروفة"[٤٢].

وتكون هذه الولاية القضاء، أي ولاية القضاء التي تسبب إلى محنته مع هارون الرشيد. وقد حاول ذوو النفوذ مصانعة الشافعي، كما اعتادوا أن يفعلوا مع من يتولى أمورهم، ولكنهم لم يفلحوا، ولم يجدوا في نفسه استجابة ما لإغراهم واستوائهم، حيث اتجه الإمام الشافعي بكل قواه إلى إقامة العدل،

---

[٣٩] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٦٩؛ وياقوت الحموي، *معجم الأدباء*، ج. ١٧، ص. ٢٨٣.

[٤٠] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٦٩.

[٤١] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ٩١.

[٤٢] المصدر السابق، النووي، *تهذيب الأسماء*، ص. ٤٨.

وإزهاق الباطل، لذلك أجمعوا أمرهم وسعوا به إلى السلطان سعاية منكرة، كادت تؤدي به لولا حفظ الله له[٤٣].

ويقول الإمام الشافعي في ذلك: "ثم خرجت إلى اليمن، فارتفع لي بها الشأن، وكان بها والٍ من قبل الرشيد، وكان ظلومًا غشومًا، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم، فكتب الوالي إلى الخليفة، يقول: "إن إناسًا من العلوية (من ذرية علي) قد تحركوا، وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ها هنا رجلا من ولد شافع المطَّلبي لا أمر لي معه ولا نهي". فكتب إليه هارون، أن احمل هؤلاء، واحمل الشافعي معهم، فقُرنت معهم. قال: "فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه، وعنده محمد بن الحسن. فدعا هارون بالنِّطع والسيف، وضُربت رقاب العلوية"[٤٤].

ونجا الإمام الشافعي من هذه المحنة بحجته أو بما قاله محمد بن الحسن الذي كان عند هارون الرشيد، يقول الشافعي: "قال محمد بن الحسن: "يا أمير المؤمنين، هذا المطَّلبي لا يغلبنك بفصاحته، فإنه رجل لَسِنٌ"، فقلت، أي قال الشافعي: "مهلا يا أمير المؤمنين، فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريده منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين، أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده، أيهما أحب إليّ؟ قال: "الذي يراك أخاه، قال: قلتُ: "ياأمير المؤمنين، إنكم ولد العباس، وهم ولد عَلِيّ، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم، وهم يروننا عبدهم". قال الشافعي: "فسُرِّيَ ما كان به، واستوى جالسًا، وقال: "عظِّني، فوعظته إلى أن بكى، ثم أمر لي بخمسين ألف درهم"[٤٥].

---

[٤٣] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ٩٤.

[٤٤] المصدر السابق، ياقوت الحموي، *معجم الأدباء*، ج. ١٧، ص. ٢٨٧.

[٤٥] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٧٠.

فهذه أشهر الروايات في محنته، وقد نجاه الله، وكانت هذه المحنة قد جعلت الإمام الشافعي حاضرًا ومقيمًا ببغداد عدة سنوات، وإن لم يذكر أحد من الرواة مدة إقامته الأولى ببغداد، ولكن المظنون أنها كانت طويلة، لأن في هذه المدة فقد كتَب الإمام الشافعي كُتُب محمد بن الحسن، وسماعها عليه، واشتغاله بمناظرة العلماء والفقهاء والمحدثين بها. وأخذه العلم عن الشيوخ، ويحتاج كل هذا إلى زمن طويل. وقد تكون إقامته طالت إلى حين وفاة محمد بن الحسن سنة ١٨٩هـ، أو قبلها بقليل، ثم غادر الشافعي العراق وترك أثرًا لا يمحى في نفوس الموافقين والمخالفين، حتى أجمعوا على الشهادة بعقليته وفهمه وسرعة بديهته[٤٦].

عاد الإمام الشافعي إلى مكة من العراق، ومعه حمل بعير من علم أهل الرأي، فاجتمع له في ذلك علم الحجاز -أهل الحديث- وعلم أهل الرأي المَهَرة في الفقه والقياس والاستنباط. فتصرف في ذلك، حتى أصَّل الأصول وقعَّد القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، واشتهر أمره وعلا ذكره، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار[٤٧]. وكان اقتحام الإمام الشافعي لميدان المناظرات ومقارنة الأدلة بالأدلة، قد أثار في نفسه الرغبة في أن يميز بين هذه الأدلة، ضعيفها من قويها، وخطأها من صوابها. ومن هنا نبتَتْ في رأسه فكرة الاجتهاد المطلق، لقد فهم علم الأولين والآخرين من الفقهاء والمحدثين، وعرف مالها وما عليها، من محاسنها ومآخذها، فما عليه أن يأخذ من كل علم أقواها حجة، وأوضحه منهجًا، وأدناه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[٤٨].

وقد اتخذ للإمام الشافعي حلقة في المسجد الحرام بعد عودته من بغداد، وجلبت إليه الكثير من ذوي المكانة في العلم، يستمعون إليه، ومن كبار هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل الذي وفد حاجًا إلى مكة.

---

[٤٦] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ١٠٧.

[٤٧] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٣.

[٤٨] المصدر السابق، الدقر، *الإمام الشافعي فقيه السنة*، ص. ١١١-١١٢.

قال محمد بن الفضل الفراء، سمعتُ أبي يقول: "حججْتُ مع أحمد بن حنبل، فنزلت في مكان واحد معه، فخرج باكرًا وخرجْتُ بعده، فدُرْتُ المسجد فلم أره في مجلس ابن عيينة ولا غيره، حتى وجدته جالسًا مع أعرابي"، فقلت: "يا أبا عبد الله، تركتَ ابن عيينة وجئت إلى هذا؟!" فقال لي: "اسكت، إنك فاتك حديث بعلو، وجدتَه بنزول، وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده، ما رأيت أحدا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى". قلت: "من هذا؟!"، قال: "محمد بن إدريس"[٤٩].

شيوخه

بالغ الإمام الشافعي في الطلب على أيدي المشايخ الذين كانوا في عصره، كما إن وجوده في الحرمين الشريفين وفّر له فرصة اللقاء بالشيوخ الغرباء الذين كانوا يَرِدُوْن إلى الحج وزيارة مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم. والمتتبع لكتب التراجم يلاحظ أن الإمام الشافعي قد تتلمذ على أيدي عدد كبير من العلماء، وما ذاك إلا لعلو همته رضي الله عنه، ولكثرة ترحاله في البلاد طلبا للعلم.

وكان أول شيخ قصد إليه الشافعي بمكة هو مسلم بن خالد الزنجي، ثم أم مجلس سفيان بن عيينة في الحديث، وذهب إلى المدينة ليأخذ عن الإمام مالك، ولما أتت به محنته إلى العراق، كتب الإمام الشافعي كتب محمد بن الحسن وسمّعها عليه. فكان هؤلاء أكثر شيوخ الشافعي تأثيرًا عليه، ومن بين هؤلاء كان سفيان بن عيينة ومالك، أكثرهم نفعًا له، فكان الإمام مالك هو النجم عند الإمام الشافعي. وقد جمع ابن حجر العسقلاني في كتابه "توالي التأسيس" أسماء شيوخ الإمام الشافعي مرتبين على حروف المعجم[٥٠]، وكان عددم ٧٩ شيخًا. فتذكر الباحثة هنا بعض هؤلاء الشيوخ: إبراهيم بن سعد إبراهيم الزهري، إبراهيم بن عبد العزيز بن أبي محذورة، أسامة بن زيد بن أسلم، إسحاق بن يوسف الأزرق،

---

[٤٩] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٥٦.

[٥٠] المرجع نفسه، ص. ٦٢.

جعفر بن إبراهيم الطائي، حاتم بن إسماعيل المدني، الحارث بن عُمير البصري، داود بن عبد الرحمن العطار، سعيد بن مسلمة الأموي، سفيان بن عيينة، الضحاك بن عثمان الجدامي، عبد الله بن إدريس الأودي، عبد الله بن المبارك المروزي، عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، الفضيل بن عياض الزاهد المشهور، مالك بن أنس، محمد بن الحسن الشيباني، محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيك، وكيع بن الجراح، ويحي بن حسان التنين. ويقول ابن حجر: "فهؤلاء شيوخه الذين نقل عنهم العلم من الفقه، والحديث، والأخبار، سمع منهم بمكة، والمدينة، واليمن، والعراق ومصر"[٥١].

تلامذته

وأما من تتلمذ على يديه رضي الله عنه فهم خلق كثير، ذكر الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" حدث عنه: الحميدي صاحب "السنن" (ت ٢١٩هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وأحمد بن حنبل صاحب المذهب (ت ٢٤١هـ)، وسليمان بن داود الهاشمي (ت ٢١٩هـ)، وأحمد بن محمد الأزرقي (ت ٢١٢هـ)، وأحمد بن عبد الرحمن الوهبي (ت ٢٦٤هـ)، وابن عمه إبراهيم بن محمد الشافعي (ت ٢٣٨هـ)، وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، وهارون بن سعيد الأيلي (ت ٢٥٣هـ)، وخلق سواهم. وقد أفرد الدارقطني، "كتاب من له رواية عن الشافعي" في جزأين[٥٢].

وفاته

ويروي الربيع قال: "كنا جلوسًا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير، فوقف علينا أعرابي فسلم"، ثم قال لنا: "أين قمر هذه الحلقة وشمسها"؟ فقلنا: "توفي رحمه الله، فبكى بكاء شديدًا"، ثم قال: "رحمه

---

[٥١] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٧٢.

[٥٢] المصدر السابق، الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج. ١، ص. ٧-٨.

الله وغفر له فلقد كان يفتح ببيانه منغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوهًا مسودة، ويوسع بالرأي أبوابًا منسدة، ثم انصرف"[٥٣].

وعنه قال: "توفي الشافعي في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة، آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومئتين"[٥٤].

مؤلفاته

تبلغ كتب الشافعي حوالي ١١٣ و١٤٠ كتابًا، ذكر منها ابن النديم في الفهرست ١٠٩ كتابًا، كما أن هناك قائمة أخرى ترجع إلى البيهقي[٥٥]، وفي كتاب "توالي التأسيس" لابن حجر ٧٨ كتابًا، نقلًا عن البيهقي[٥٦].

ويقول القاضي الإمام أبو محمد الحسن بن محمد المروزي: "قيل إن الشافعي رحمه الله صنف مائة وثلاثة عشر كتابًا في التفسير والفقه والأدب، وغير ذلك"[٥٧].

وقال الربيع: "أقام الشافعي هاهنا أربع سنين، فأملى ألفًا وخمسمائة ورقة، وخرَّج كتاب "الأُم" ألفي ورقة، وكتاب "السنن"، وأشياء كثيرة، كلها في مدة أربع سنين، وكان عليلًا شديد العلة، وربما خرج الدم وهو راكب حتى تمتلئ سراويله وخفه، يعني من البواسير"هـ[٥٨].

---

[٥٣] المصدر السابق، ابن الجوزي، *صفة الصفوة*، ج. ١، ص. ٤٨٨.

[٥٤] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ١٧٩.

[٥٥] المصدر السابق، البيهقي، *مناقب الشافعي*، ج. ١، ص. ٢٤٦-٢٥٩؛ وابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، *الفهرست*، بيروت: دار المعرفة، الطبعة الثانية، ص. ٢٦٣-٢٦٤.

[٥٦] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ١٥٤؛ وسزكين، فؤاد، ١٤١١هـ *تاريخ التراث العربي*، ترجمة الدكتور محمود فهمي حجازي، للمراجعة: الدكتور عرفة مصطفى والدكتور سعيد عبد الرحيم، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، المجلد الأول، د.ط، ج. ٣، ص. ١٨١٣-١٨٤.

[٥٧] المصدر السابق، النووي، *تهذيب الأسماء*، ج. ١، ص. ٥٣.

وقُسِمَتْ كتبه إلى قديمة وحديثة، فالقديمة منها ما كتبه في بغداد ومكة، والحديثة منها ما كتبه في مصر، وأهم كتبه:

١. **كتاب "الأُم"**: يعد كتاب الأم من أشهر مصنفاته رضي الله عنه، وآخرها، ألّفه في مصر في أواخر حياته رواه عنه تلميذه الربيع بن سليمان المرادي، حيث يتمثل فيه قوله الحديث الذي استقر عليه مذهبه[٥٩].

٢. **"الرسالة"**: سماه الإمام الشافعي باسم "الكتاب"، وألفه ليجيب على أسئلة لعبد الرحمن بن مهدي[٦٠].

٣. **"السنن المأثورة"**: وكتابه هذا يعد من عيون التراث الإسلامي، ومن الجميل في الأمر أن الّذي روى هذا الكتاب إمام من أئمة المذهب الحنفي، هو الإمام أبو جعفر الطحاوي، وهذا أكبر دليل على نبذ التعصب المذهبي المقيت والتقليد الأعمى الذي لا يحتكم إلى الدليل. وستذكر الباحثة بعض التفاصيل لهذا الكتاب في المطلب القادم من هذه الرسالة.

٤. **"مسند الشافعي"**: وهذا الكتاب لم يصنفه الشافعي وإنما جمع له من مجموع كتبه، قام بجمعه أحد تلامذة الربيع بن سليمان المرادي وهو أبو العباس الأصم.

٥. **الرد على محمد بن الحسن.** جمع فيه الإمام الشافعي عددا من مسائل القصاص والديات التي اختلف فيها مع الحنفية، ومع شيخه محمد بن الحسن الشيباني خاصة. وهو من جملة ما

---

[٥٨] المصدر السابق، العسقلاني، *توالي التأسيس*، ص. ٨٣.

[٥٩] المصدر السابق، سزكين، *تاريخ التراث العربي*، ص. ١٨٤-١٨٥.

[٦٠] المرجع نفسه، ص. ١٨٦.

صنفه الشافعي في بغداد، التي مثلت مذهبه القديم، وكان الكتاب مطبوعا في ضمن موسوعة الإمام الشافعي، بطبعة دار قتيبة، في أربع وتسعين صفحة[٦١].

٦. **اختلاف الحديث**. لقد طبع الكتاب بتحقيق الأستاذ عامر أحمد حيدر تحقيقا غنيا بالتخريجات والتوضيحات المفيدة، طبعته مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت، الطبعة الأولى منه سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، وطبعة ثانية سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣. كما قام الأستاذ محمد أحمد عبد العزيز زيدان بتحقيق الكتاب، تميز بفهارسه المستوعبة، وقد طبعته دار الكتب العلمية في بيروت، طبعة أولى سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، استغرقت ٢٣٠ صفحة[٦٢].

٧. **إبطال الاستحسان**. بين فيه الشافعي موقفه في إنكار حجية الاستحسان، الذي كان سائدا عند فقهاء أهل الرأي بشكل خاص، وفي مقدمتهم الإمام أبي حنيفية وتلاميذه. طبع الكتاب في ضمن موسوعة الإمام الشافعي، بطبعة دار قتيبة في إحدى وثلاثين صفحة[٦٣].

٨. **أحكام القرآن**، جمع أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي آثار الإمام الشافعي في أحكام القرآن وتفسيره. طبع الكتاب بتحقيق الشيخ عبد الغني عبد الخالق، طبعة أولى سنة ١٣٧١هـ، طبعته مكتبة الخانجي، بالقاهرة، وقدّم لهذه الطبعة الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ثم طبعته دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٠هـ[٦٤].

---

[٦١] القواسمي، أكرم يوسف عمر، د.ت، *المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي*، عمان: دار النفائس، ص ٢٣٦.

[٦٢] المرجع نفسه، ص ٢٥٥.

[٦٣] المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

[٦٤] المرجع نفسه، ص ٢٦٢.

٩. **كتاب السبق والرمي**، أورده كل من بروكلمان وسزكين، وقد ذكره أيضا ابن النديم في الفهرست، وكذلك البيهقي في مناقب الشافعي، وهو مطبوع في موسوعة الإمام الشافعي[٦٥].

١٠. **كتاب العقيدة، وكتاب أصول الدين ومسائل السنة**. ذكرهما بروكلمان وسزكين، إلا أن بعض أهل العلم رأى عدم صحة نسبته الكتابين إلى الإمام الشافعي، مثل ما ذكره القواسمي[٦٦].

---

[٦٥] المصدر السابق، بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم الثاني، ج ٣، ص ٣٢٢، و سزكين، *تاريخ التراث العربي*، المجلد الأول، ج ٣، ص ١٨٩، و ابن النديم، *الفهرست*، ص ٢٦٠، و البيهقي، *مناقب الشافعي*، ج ١، ص ٢٥٣.

[٦٦] المصدر السابق، القواسمي، *المدخل لمذهب الإمام الشافعي*، ص ٢٦٩. انظر: بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، ج ٣، ص ٣٢١، وسزكين، *تاريخ التراث العربي*، ج ٣، ص ١٨٩.